روايات عبير الجديدة

بيتي نيلز

سامنثا الفاتنة

www.elromancia.com
مرمورية

سامنثا الفاتنة

بيتي نيلز

ربما لم يكن على سامنتا أن تتورط على المستوى الشخصي مع الهولندية التي ادخلت إلى جناحها في المستشفى . ولكنها لم تخمن أبداً ما قد يحصل من حيرة قلب لها نتيجة لعلاقتها برب العمل العجوز، الرجل الساحر جيلس اوزل . . في الواقع كان السبب مريضة أخرى ، هي الفاتنة انطونيا الشابة . . ولم تستطع رفض طلب جيلس للسفر إلى هولندا وتمريض انطونيا خلال فترة نقاهتها، فهل تستطيع ؟ ومع أن هذا يعني مراقبة انطونيا تتطلع بسعادة إلى زواجها القادم . . مع جيلس . وكان جيلس معجب بسامنتا وثيق بقدراتها على التمريض . . ولكنها كم تمنت أن يراها كامرأة وليس كممرضة !

روايات عبير الجديدة

سامنتا الفاتنة

بيتي نيلز

كل اسبوعين
موعد
مع روايتين
من عبير

(كشك فوزى)
بيع وشراء الكتب القديمة
قريبا. الصاغة/أمام شركة مصرفات الحج

الفصل الأول

كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف صباح أحد الأيام الباردة من شهر شباط ، وكانت الحركة قد بدأت في مستشفى كليمنت ، خلف واجهته القرميدية الحمراء من الطراز الفيكتوري . . . على الرغم من الأوامر الصارمة للمرضات بعدم السماح بنهوض المرضى قبل السادسة . وهذه تعليمات كانت قد صدرت إلى الممرضات الليليات منذ زمن طويل . ولكن أصغرهن ، والتي ما تزال تؤمن بأن الممرضات ملائكة الرحمة ، أخذت تتسلل من سرير إلى آخر ، تقلب الوسائد وتمسح الجباه ، بينما عدد كبير من الموظفات الأقل رتبة من النساء الشابات المتمرسات بعملهن يقمن بالرعاية وإكمال العمل . صحيح أن أضواء العنبر ستضاء كالعادة عند الساعة المحددة ، لتلقي أضواءها على الشوارع المعتمة في أحد ضواحي لندن . ولكن ، وقبل هذا بكثير ، وفي هذا اليوم بالذات ، كان العمل يسير منذ ساعة أو أكثر في قسم الجراحة النسائية ، لأن هذا اليوم هو يوم العمليات ، مما يعني أن النساء على لائحة السير ، يجب تحضيرهن ، وها قدتم الإعتناء بآخر واحدة منهن . واللواتي

استطعن الجلوس سمح لهن بالتجمع وتبادل الحديث بصوت منخفض بالطبع . لأن معظم الباقين من المرضى كانوا نياماً . ولكن الممرضة المسؤولة ، سامنتا فيلدنغ ، ظلت تسمع كلمة من هنا وهناك ، من مختلف الأصوات ، مع أنها كانت خفيفة . بينما كانت مساعدتها الشابة ، دورا براون ، تتحرك من خزانة إلى خزانة تضع أواني الإغتسال والصابون ، والملابس القطنية والمناشف في متناول المرضى النيام . ونظرت سامنتا إلى الساعة في آخر العنبر . لا يزال هناك عشرون دقيقة قبل أن تضاء الأنوار . وأمامها وقت كاف لكتابة التقرير اليومي للمسؤولة قبل أن تأتي لتقوم بجولتها . الجولة الطبية يمكن أن تتم بسرعة وهذا يعطيها وقتاً لكتابة الملاحظات على لوحات المرضى ثم إنهاء مئة عمل تضعه في ذهنها .

وابتسمت سامنتا للوجه المسن الراقد على الوسادة ، وجه متجعد لا يزال مكفهراً من جراء الصدمة ، وتقريباً . . بشع . يبدو أن المريضة لم تكن جميلة أبداً ، ولكن الوجه كان لطيفاً مع ذلك . . وأحبته رئيسة الممرضات . لقد أدخلت المرأة المسكينة قبل منتصف الليل ، ويداها محترقتان بشكل كبير ، وأمضت ليلة سيئة بالرغم من كل العناية التي تلقتها . وها هي الآن قد تلقت حمامها بلطف ، وأصبحت مرتبة ونظيفة ، وربطت يديها ووضعتا جنباً إلى جنب على غطاء السرير ، والحروق كانت الدرجة الثانية . عادة سينتيا تزور المرضى خلال الليل ، ولكنها زادت

زياراتها هذه الليلة ، وقد اكتشفت أن المريضة لا تفهم ولا تتكلم الإنكليزية . قد أتى بها رجال البوليس والإطفاء لأنهم سمعوها تهمس باسم مستشفى كليمنت وظنوا أن أحداً هنا يعرفها . ولكن لم يتعرف عليها أحد ، ولم ينجح أحد في فهم الكلمات التي كانت تتمتم بها .

وابتسمت لها سامنتا وربتت على رأسها وهي تضع لها ميزان الحرارة تحت لسانها ، وتتفحص نبضها ، وسجّلت ملاحظة بأن حرارتها ونبضها مرتفعان . وربتت على ذراعها ثم ذهبت إلى المطبخ وأحضرت لها كوب شاي وهي تبتسم بلطف اكتسبته من طول خبرتها .

وأنهت تقريرها قبل وقت قصير من حضور مسؤولة الليل في جولتها الأخيرة ، وظهرت الممرضة براون وهمست لها «هناك رجل في الخارج»

حظ سعيد له . . .

ـ إنه يريد أن يرى المرأة العجوز . . المحترقة اليدين .

ـ قولي له أن ينتظر لو سمحت ؟ لا يمكن أن يدخل قبل انتهاء عمل الصباح . . ثم عليّ توضيب ملابس السيدة ويلدز ، وعادت براون ثانية !

ـ يقول إنه سيكون سعيداً جداً لو أنك سمحت له بأقصى سرعة ممكنة . إن مظهره جذاب ورومانسي . . يا رئيسة .

ـ لا أحد يبدو لي جذاباً في هذا الوقت من الصباح . . يجب عليه أن ينتظر إلى أن أنتهي ، هل أنهيت جولتك ؟

وهزت مايجور رأسها بالإيجاب .

ـ إذاً اجلبي الستائر الضرورية للقسم ، أتسمحين ؟ أعتقد أنه يجب أن يدخل ، مع أنه وقت غير مناسب ؟

وخرجت بصمت من الباب ، ثم توقفت فجأة قرب رجل يجلس عند النافذة . رجل ضخم ، أطول منها . يرتدي معطفاً سميكاً . وقبل أن يتكلم قالت سينتيا :

ـ صباح الخير . . أنا سعيدة بقدومك ، هل تعرف المريضة ؟ لا نعرف شيئاً عنها لأننا لم نستطع التحدث معها أبداً . لا بد أنها تشعر بالأسى هذه المسكينة . أرجوك أدخل معي إلى المكتب وأعطني بعض المعلومات عنها . لقد وصلت في وقت غير مناسب ، ولكنك تستطيع رؤيتها لبضع دقائق . . هل أنت إبنها ؟

ـ يا فتاتي العزيزة . . أنت تتكلمين كثيراً ، هل كنت تتمرنين على هذه الكلمات وأنا أنتظر ؟

وتبعها إلى المكتب ودخل وراءها .

ـ لا . . لست إبنها ، إنها صديقة قديمة .

ـ هل تستطيع إخباري إذا كانت فعلاً تعيش في المنزل حيث وجدت ؟

ـ أجل . . مؤقتاً . .

ـ هل تعمل ؟

ـ أجل . . مدبرة المنزل .

ـ أتستطيع مساعدتي أكثر ؟ ما اسمها ؟ وهل لها أقارب أو أصدقاء تعود إليهم ؟ وهل تعيش لوحدها ، وكم عمرها ؟

ـ أظن أنها في التاسعة والستين . . كم عمرك أنت ؟

ـ هذا شأني أنا . . أرجوك . . .

ـ آه . . أجل اسمها كلارا بوت . إنها هولندية أتت لتعمل كمدبرة منزل حيث وجدت ، وصلت يوم أمس . ولسوء الحظ تأخرت عن مقابلتها ، وهي لا تتكلم الإنكليزية . وليس عندها أقارب ، لذا إذا كان هناك شيء تحتاج إليه ، أخبريني . والآن إذا كان من الممكن أن أراها لبضع دقائق !

ووقف . . ووقفت بدورها . وسارت أمامه إلى العنبر وهي تقول :

ـ هل ستأتي مرة أخرى ؟ مسؤولة النهار قد ترغب في رؤيتك . . هل عندك رقم هاتف ؟

ـ ما دام هذا يهمك . . أنستطيع تدبير موعد بيننا ؟

ولم ترد عليه ، بل سارت في العنبر إلى حيث ترقد العجوز . وعندها فتحت الستائر ، أمسكها بخصرها ونحاها جانباً ثم دخل وانحنى فوق السرير محيياً المريضة بصوت لطيف بلغة

لم تفهمها ، وراقبت سامنتا الوجه العجوز وهو يضيء ، يبتسم ثم يبكي ، وعندها دخلت وراءه أوقفها الرجل قائلاً :

ـ شكراً لك ، يا فتاتي العزيزة . . . لا تدعيني أؤخرك عن عملك . . . وردت عليه ببرود «عشر دقائق فقط لو سمحت ، ولا دقيقة أخرى . .» وتذكرت متأخرة أنها لم تعرف من هو . . كانت قد بدأت جولتها الطبية ، وهي لا تزال غاضبة لأنه دعاها «فتاتي العزيزة» بتكبّر ، مما جعلها تشعر بالإهانة . ثم توجهت إلى الهاتف واتصلت بالرئيسة المسؤولة عن قسم الليل . . فليواجه هذه السيدة إذا استطاع ، ولسوء الحظ لم تجدها . وبعد عشر دقائق ، ذهبت لتذكّره بانتهاء الموعد ولكنها لم تجده . لا بد أنه غادر بصمت من وراء ظهرها .

وشرحت الأمر للرئيسة غريفز عندما حضرت لتتسلم وظيفتها عند الثامنة ، ثم أسرعت إلى غرفة الطعام لتتناول إفطارها . وكانت تعيش خارج المستشفى في شقة تشاركها فيها ثلاثة ممرضات . وكلهن الآن يعملن نهاراً . وفكّرت بنهاية الشهر عندما ستقبض راتبها وتذهب لرؤية جديها حيث تستطيع أكل ما تشاء هناك .

وغادرت المستشفى إلى شقتها ، حيث حيّت السيد كوكبورن صاحب الشقة ، وصعدت إلى غرفتها الصغيرة . الثلاثة الأخريات دوامهن في العمل حتى الخامسة بعد الظهر ، وهذا يعني أنها ستتمكن من النوم دون إزعاج طوال النهار لو أرادت .

وأدارت الراديو ، وبدأت بترتيب الشقة . كانت الفتيات يتوزعن العمل بعدل في الشقة ، من تكون في العمل الليلي تنظّف الشقة عند الصباح ، وتغسل أطباق الإفطار ، وتحضر الطاولة للعشاء . ومن تكون دون عمل خلال النهار تحضّر طعام العشاء وتكوي الثياب ، أما التسوق فيتشاركن به .

وبعد أن انتهت من عملها ، خلعت ملابسها ودخلت الحمام ، حيث وجدت ما يكفي من الماء الساخن لتملأ المغطس ، واستلقت بداخله وكادت أن تنام ، وهي تتساءل عن الغريب الذي زار العجوز . وتذكرت فجأة يداه الضخمتان القويتان على خصرها وهو يبعدها عن طريقه ، وأثارها هذا مما جعلها تخرج من المغطس قبل أن تبرد الماء . وحضّرت نفسها لتأوي إلى الفراش في وقت قصير . كانت في الحقيقة تعبة ، ورفضت أن تعترف بأن تفكيرها بالرجل قد أزعجها .

لم يكن عندها وقت للتفكير بأي شيء عندما وصلت العنبر سوى العمل . . كان عليها العناية بمن أُجريت لهن العمليات بعد أن أخذت التقارير من الراهبة المسؤولة .

جفرو كلارابوت ، العجوز . . بحاجة إلى الكثير من العناية أيضاً . ونظفت سامنتا لها يديها ، وأراحتها قدر المستطاع ، وبينما أعطتها مايجور شراباً ساخناً ، ذهبت لتحضر لها إبرة ، لأن عيناها الخبيرتان لاحظتا النظرة المتوسلة على وجه المريضة . وغرزت الإبرة في ذراع العجوز بمهارة وضغطت الدواء ، وربتت

على كتفها بحنان ، ثم انسحبت لتساعد الممرضة براون مع مريضة أخرى .

ثم عادت إلى مكتبها لتتناول طعام منتصف الليل ، وأخذت دفتر الأدوية وبدأت تسجل فيه ما حُرف من أدوية . وعلى الفور تقريباً ، أجفلت عندما فتح باب العنبر ودخل السير جوشوا وايت يرافقه زائرها الصباحي في اليوم السابق . . كان الإثنان في أبهى ملابسهما بالربطة البيضاء والسترة الطويلة . ونظرت إليهما سامنتا بعد أن وقفت . ولكن ما هي الصدف التي جمعت بينهما في العنبر في هذا الوقت من الليل ؟ وماذا يفعل هذا الرجل مع أكبر مستشار جراح في مستشفى كليمنت ؟ وهذا الرجل الغريب يحدق بها والتسلية بادية في وجهه ، الأمر الذي ضايقها كثيراً .

ووصل إليها السير جشوا ، وهز رأسه بتحية مرحة وقال بصوته الجهوري « جومزو بوت هل هي نائمة يا رئيسة الممرضات ؟» «أظن هذا يا سيدي»وقال لها واعداً «سنكون هادئين إذا» وعندما نظرت متسائلة لرفيقه قال «آه . . أجل . . هذا الدكتور أوزل . مريضتنا مدبرة منزله» .

إذاً هذا أوضح الغموض . ونظرت إلى الدكتور الهولندي نظرة باردة وقالت «كيف حالك ؟» وكأنهما لم يلتقيا من قبل . وسارت أمامهما نحو سرير المريضة ، التي كانت نائمة . وبإشارة من السير جوشوا أضاءت المصباح على الأريطة التي تحيط بيديها المحروقتان وانحنى الرجلان يتفحصانها ، ولأن المصباح لم يكن

مركّزاً حيث يريدان ، مدّ الدكتور لانغ يده ليصححه ، ولم يكن بحاجة لأن يبقي قبضته حول يديها مما أزعجها كثيراً أن تحس لكل هذا السرور من لمسته لها .

ورجع الجميع إلى المكتب ، حيث جلس السير جوشوا وتناول ملف جوفروبوت ، وانتظرت سامنتا بصبر بينما كان الرجلان يتحادثان معاً . وأخيراً كتب السير جوشوا تعليمات جديدة وأعطاها لسامنتا . ولم يبقيا بعدها ، وتمنى لها السير جوناثان ليلة سعيدة وتمنى الدكتور أوزل ليلة سعيدة بطريقة ساخرة .

ليلة أخرى وستنتهي دورة الليل لها . وستكون حرة لأربعة أيام . وجعلتها الفكرة تشعر بالسعادة وهي تسارع الخطى نحو شقتها . حيث وجدت ملاحظة من رفيقاتها بأن تتسوق لهم قبل أن تنام . . .

وجالت في الشقة تنظفها وترتبها بسرعة . كانت السماء تمطر وارتدت معطفها ورفعت ياقته ، وربطت شعرها إلى الخلف ، وأمسكت سلة التسوق ، ونزلت الطبقات الثلاث على الدرج ، وخرجت من المنزل . ملوّحة بيدها للسيد كوكبورن .

لم يكن هناك الكثير لتتسوق ، بعضها الخبز والجبنة ، وأربع علب لبن رائب ، شاي وزبدة والمزيد من البسكوت لأنها رخيصة وتشبع بسرعة ، وعلبة حليب وقهوة . . . وتوقفت بعد أن دفعت ثمن مشترياتها أمام واجهة الزهور ، فسمعت صوت الدكتور

أوزل :

ـ صباح الخير آنسة فيلدنغ ، هل ترغبين بشراء بعض الأزهار ؟

والتفتت بسرعة وذهول قائلة «لا . . . لا . . إنها تموت بسرعة ولا تستأهل !»

ـ تستأهل ماذا ؟

كان يتكلم بصوت لطيف بحيث أنها نسيت للحظة بأنها لم تستلطفه وأنها تحاول إخفاء واقع أنها لا تطيقه . وقالت :

ـ أحب أن أراها تنمو

ـ دعيني أحمل عنك السلة .

وأخذها قبل أن تقول شيئاً ، ولكنها قالت متأخرة :

ـ أوه . . لا . . أعني أنني كنت عائدة إلى شقتي ، وليست المسافة بعيدة . .

ـ في هذه الحالة سأوصلك بالسيارة . .

ـ أشكر لك لطفك ، ولكنني أفضل أن أسير .

وأسفت لقولها هذا ، لأنه قال فوراً :

ـ أوه . . . عملية . . تهرب . . .

وتغير صوته ولم يعد لطيفاً ، وحلت مكانه ابتسامة ساخرة ، وتابع : . .

ـ لا فرق . . أرغب ببضعة دقائق معك . . حول كلارا .

ولم تعد السخرية خفيفة ، بل أصبحت حقيقية ، واحمرّت وجنتاها من جراء نظرته . . وقالت له بثبات : «حسن جداً» . ووجدت نفسها تسير إلى جانبه ، وعندما توقف قرب سيارة كحلية من نوع «رولز ـ رويس ، مارلين» حاولت جهدها لا تندهش ، ولكن وجهها كان عليه نظرة متسائلة جعلت رفيقها يقول :

ـ أنا أسافر كثيراً .

وفتح لهاالباب ودعاها للدخول . . . فتركت سامنتا جسدها الفتي التعب ، يرتاح على جلد المقعد الناعم . لا يستطيع المرء إلا أن يرتاح هنا . ولو أن أن شخصاً غير الدكتور أوزل بجانبها لقالت له هذا ، والتفتت إليه وقالت بصوت مؤدب ، وهو يدير السيارة وينطلق : «ماذا تريد أن تعرف عن جفرو بوت ؟»

ـ يا فتاتي العزيزة . . أمن المتوقع أن أقول لك حالاً ؟ اعتقدت أنني مسموح لي بعدة دقائق من الهدوء لأفعل هذا . . في شقتك ربما ؟ . .

ونظرت إليه بارتياب : «كيف عرفت أنني أسكن خارج المستشفى ؟»

ـ آه . . أتعرفين . . لا أستطيع أن أتذكر . . هل هذا سر ؟ .

ـ أجل . .

www.elromancia.com

ولم تقل المزيد . فالحديث عن الشارع الذي تسكن فيه لا يفيد ، إنه شارع محترم ، ولكن فيه مظاهر الفقر . ووقف الدكتور أمام المنزل ، وأسرع بالنزول وفتح الباب لسامنتا ، وحمل سلتها ، وصعد الدرج دون أن تدعوه ، نحو المدخل ، ورفع يده بالتحية للسيد كوكبرن ، وهو يراقبهما باهتمام .

وترددت سامنتا عند باب الشقة ، فأسرع للقول :

ـ أوه . . أجل . . سأدخل الآن بما أنني هنا .

وسارت أمامه باتجاه غرفة الجلوس ، حيث وضع السلة من يده ، ونظر حوله باهتمام . . فقالت تبرر مظاهر الفقر في المكان «نحن نحب السكن خارج المستشفى»

وتمنت فوراً لو أنها لم تتكلم ، لأن حاجباه ارتفعا أكثر ، على الرغم من أنه لم يتكلم ، بل وقف هناك ، ينظر حوله ثم إليها .

واجبات الضيافة كانت أصيلة عندها . فسألته :

ـ هل تتناول فنجان قهوة ؟ إنها قهوة نيسكافية !

وابتسم لها . وخفق قلبها بين ضلوعها ، لأن الإبتسامة تماثل تلك التي ابتسمها للعجوز عندما زارها ، لطيفة ومطمئنة :

ـ سيكون هذا رائعاً . . . ولكن ألا تنامين ؟

ـ أجل . . ولكنني أتناول القهوة أولاً . . أرجوك إجلس .

وقال بعد أن احتسيا نصف قهوتهما .

ـ يجب أن أعود إلى هولندا ليوم أو يومين قريباً . وسأكون سعيداً لو اشتريت بعض الفاكهة وما شابه لكلارا ، وأي شيء ترغب به

ـ سأضع لها لائحة مترجمة بالأشياء التي تريدها ، وستشير إليك بكل ما تريد .

وابتسم لها ابتسامة ساحرة اضطرتها للرد عليه بمثلها

ـ إنها تحبك ، كما تعلمين . تقول إن لك وجه جميل . .

ـ هذا ليس صحيحاً . .

ـ أجل . . هذا ليس صحيحاً ، ولكنني أعرف ما تعنيه كلارا بالضبط . لن أبقى أكثر لتستطيعي النوم ، وشكراً على القهوة .

ووضع يده في جيبه وسحب بعض المال ووضعه على الطاولة

ـ أرجو أن يكفي هذا المبلغ !

ـ إنّه أكثر من الحاجة بكثير . . نصفه يكفي

ـ اصرفيه على حاجاتك . . سأخرج بنفسي ، اذهبي ونامي جيداً . . . بالنسبة لرجل ضخم مثله ، كان تحركه سريعاً ، وسمعت الباب الأمامي للمنزل يقفل . قبل أن تودعه . . .

ومع أنها كانت تعبة ، إلا أنها لم تستطع النوم جيداً . فقد أزعجتها الأحلام ، وعندما استيقظت أبكر من وقتها المعتاد صنعت لنفسها فنجان شاي ، وقالت لنفسها إن ما رأته في الحلم

سببه أن الدكتور أوزل ، كان آخر شخص رأته قبل النوم ، وأخذت تجول في غرفة الجلوس ، محاولة صرف ذكراه عن ذهنها النصف نائم ، ثم لاحظت مزهرية مليئة بالزهور على الطاولة ورسالة صغيرة من «سو» زميلتها التي تعمل بعد الظهر تقول فيها : « لقد أتت هذه الزهور لك . . من هو الصديق الجديد ؟»

الفصل الثاني

القطار من واترلو إلى وايموت كان نصف فارغ . ووجدت سامنتا عربة في مقدمة القطار وجلست على مقعد في الزاوية وهي تتنهد بارتياح ، أمامها الآن أربعة أيام من الراحة ، وهي تنوي الإستمتاع بكل دقيقة منها . وكانت قد أمضت بعضاً من وقتها في شراء الأغراض لجفرويوت ، التي ، وكما قال الدكتور أوزل ، كان لديها لائحة بالأغراض بلغتها مترجمة إلى الإنكليزية ، واشترت لها ما تريد وأضافت زجاجة عصير ، وبعض الزهور والحلوى ، ووجدت جريدة هولندية اشترتها لها وكان عليها بالطبع أن تساعدها بتقليب صفحاتها ولكن هذا الإزعاج بدّده ما ظهر على وجهها من علامات السعادة .

وأرجعت سامنتا رأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها ، لقد قبضت راتبها الآن ، وهذا يعني أن تدفع لجدتها بعض المال ، وبعد أن تدفع حصتها في أجرة الشقة ، والمصروف ، وتضع بعض المال جانباً لتدفع ثمن طعامها في المستشفى قد يبقى معها ما يكفي لشراء الجاكيت البني الذي تحلم به ، وتستطيع أن ترتديها فوق بنطلونها البني وكنزتها اللذين تحبهما أكثر . . كانت

www.elromancia.com

تفكر بهذا عندما استغرقت في النوم ، وبقيت نائمة إلى أن توقف القطار في ساوتمتون . وبعدما سار القطار ثانية أغلقت عيناها ، ولكن هذه المرة لم تنم ، بل أخذت تفكر بالدكتور أوزل وملامحه الأنيقة ، إنه رجل ذو مزاج سيء . . لا شك في هذا ، ومتعجرف في كلامه ، وكانت مسرورة لأنها سجلت المبلغ الذي صرفته على جفرو وتركته مع باقي المال في خزانة العجوز مع مذكرة صغيرة ، واستغرقت في النوم من جديد .

وانتبهت من نومها في الوقت الذي اقترب فيه القطار أخيراً من وايموت كان جدها ينتظرها بسيارته الأوستن القديمة ، كان كبيراً في السن ولكنه لا زال يقود سيارته ، ويصر على لقاء سامنتا كلما أتت إلى المنزل . وجلست إلى جانبه ووضعت حقيبتها في المقعد الخلفي . وعانقته بشوق . لقد تولى جدها رعايتها منذ أن فقدت والدها وهي بسن الثانية عشر .

- جميل أن أراك ثانية يا جدي . .

ووصلا إلى المنزل قرب كنيسة البلدة مباشرة . منزل صغير من الحجر أمامه حديقة صغيرة . وكان بابه مفتوحاً ، وخرجت سامنتا من السيارة وركضت إلى الداخل لترتمي بين ذراعي جدتها . وتعانقتا ، وهما تتكلمان في نفس الوقت ، ودخل جدها حاملاً حقيبتها وتوجهوا نحو غرفة الجلوس . حيث تناولت سينيتيا عدة أكواب من الشاي والحليب ، وتبادلوا الأحاديث ، وأعلن جدها أن الوقت قد حان لتناول الغداء . بعد الغداء شارك

الجميع بتنظيف الصحون ، وجلس جداها على المقاعد الطويلة في غرفة الجلوس قرب النار لينما قليلاً ، وصعدت إلى غرفتها ، وأخرجت ثيابها القليلة ورتبتها في الخزانة ، ومشطت شعرها كذيل الحصان وجلست على السرير الضيق تنظر إلى الأثاث القديم . وشعرت بالسعادة للعودة إلى بيتها ثانية ، وتنهدت ثم نزلت إلى الطابق الأرضي ، ووضعت هديتها لجديها من الدخان والشوكولا على الطاولة ، وارتدت معطفاً قديماً كان معلقاً خلف الباب ، وخرجت تتمشى نحو البحر .

في الصباح التالي وعند تناولهم الإفطار قال جدها إنهم مدعوين لتناول العشاء تلك الليلة في المزرعة . .

- لقد التقيت بالسيدة هامبغير بوتر منذ بضعة أيام وقالت إنها تدعونا للعشاء جميعاً هذه الليلة وكانت مصرَّة على وجودك يا سامنتا فقد قالت إنها لم تشاهدك منذ زمن .

عندما وصلوا ذلك المساء إلى المزرعة خرج مالك الأرض للقائهم . وفتحت لهم السيدة موب ، التي تعمل هناك ، الباب وتبعت صاحب الأرض زوجته : سيدة كاملة تحيطها مظاهر ملكية لكن بقلب من أنبل القلوب في المقاطعة ، وقبّلت السيدة على خديها وكذلك فعلت مع سامنتا وقبلها المحترم أيضاً ، ثم عبرا الجميع الردهة وجلسوا في حلقة حول النار ليتناولوا شراب الكرز والبرتقال . واستمعت سامنتا لخطط السيدة هامبغير بوتر حول المعرض الخيري العائد للكنيسة .

ورفعت السيدة رأسها مرهفة السمع ثم قالت «لقد وصلت السيارة» وسألت سامنتا بسرعة «سيارة من ؟» وفتحت السيدة موب الباب ، ودخل الدكتور أوزل .

وأمام دهشة وتحديقها به سلّم على مضيفه ومضيفته ، وعرّفاه بالسيدة والسيد فيلدنغ وأخيراً . . بها . وقال وهو يصافحها :

ـ لقد التقينا من قبل . .

وابتسمت مضيفته بلطف وقالت «طبعاً . . الفضل للسير جوشوا . . لولاه لما كان لنا السعادة بحضورك إلى هنا»

ـ إنها سعادة مشتركة سيدة هامبغير بوتير .

والتفت إلى سامنتا وقال :

ـ إنها صدفة غريبة أن ألتقي . . . بسامنتا هنا أيضاً . .

وأحست سامنتا بيد السيدة على كتفها وهي تقول !

ـ فتاتنا العزيزة . . فعرفها منذ العديد من السنوات ، عائلة فيلدنغ جيراننا . .

وأقبل المحترم ومعه كأس شراب للقادم الجديد . وانسحبت سامنتا بهدوء لتنضم إلى جدتها . واستغرق الرجال الثلاثة في الحديث . وجلست بين السيدتين تستمع إلى آرائهما حول آخر الكتب والأزياء ، والأسعار المرتفعة لكل شيء . ووجدت فرصة نادرة لتتفحص الدكتور أوزل بعيداً عن واقع أنها

لم تحبه ، كان يبدو لطيفاً ، وسيماً طويلاً ، وواثقاً من نفسه .

وغادروا المزرعة بعد العاشرة بقليل ، وقادت سامنتا السيارة ، وفي المنزل ، خلال تناولهم الكاكاو قبل النوم . قالت السيدة فيلدنغ «لقد أعجبني ذلك الدكتور . . ما اسمه . . . جيلر . .

إنه شاب لطيف ، ألا تظنين هذا يا سام ؟

ـ لا أعرف يا جدتي . . أعتقد أنه لا بأس به .

والتفتت الجدة إلى زوجها وغمزته . وقال الجد :

ـ أجل أجل . . إنه شاب ممتاز . . قال لي إنه طبيب وأعد . . وهو يأتي من وقت إلى آخر إلى هناك للإستشارات ، وهو صغير السن أيضاً . وأسرعت سامنتا للقول ، تريد أن تعرف «وكم عمره ؟»

ـ خمسة وثلاثون . . لقد تدرب في مارلم ، وحصل على شهادته من كامبردج . إضافة إلى شهادة من هولندا . . . إنه ذكي . . .

واستيقظت باكراً في الصباح التالي . . وبعد الإفطار ، وتنظيف البيت ، عادت إلى غرفتها لتجلس إلى طاولة الزينة ، وفي المرآة لم تشاهد انعكاس وجهها بل شاهدت وجه الدكتور أوزل بملامحه القاسية . فأغمضت عينيها ، ومشطت شعرها وربطته إلى الخلف . ثم سمعت صوت دق على الباب الأمامي

www.elromancia.com

للمنزل .

كان هناك شخصان ، السيدة هامبغير بوتر ودكتور أوزل . . وشاهدتها السيدة وهي تطل من النافذة فقالت لها بأدب «صباح الخير . . . سأنزل في الحال» ثم سمعت جدتها تتوجه لفتح الباب ، وفي المطبخ حضرت الشاي وقدّمته للجميع ، وأخذه الدكتور أوزل بأدب بينماكانت السيدة تقول «جيلس متشوق لرؤية الشاطىء ، فماذا لا تأخذه سامنتا وتريه المكان ، فهي تعرف المنطقة وتستطيع الإجابة على أي سؤال يطرحه»

وأدارت رأسها وابتسمت لسامنتا . . التي لم ترد ابتسامتها .

لم يكن الصباح جميلاً . . وسارا بنشاط عبر الطريق الموصل إلى الشاطىء ، السماء كانت مغطاة بالغيوم الرمادية ، بينما الريح تهب في وجهيهما . وأخذ يحادثها بمرح حول أشياء غير محددة ، شاركت فيها سامنتا قليلاً ، إذا لم تكن تنوي أن تقع في سحره .

ووصلا إلى منازل حرس الساحل . وبدأت تشرح له أن الشاطىء كان بطول سبعة عشر ميلاً ، وأنه لو فتش لوجد صخوراً من كورنويل من الغرانيت : «الشاطىء يتغير من يوم إلى يوم . . بسبب المد . .»

وقاطعها فجأة «لماذا تكرهيني ؟» وفتحت فمها من الدهشة ، وتابع «أو بالأحرى ، لماذا لا تتركين نفسك تحبيني ؟»

ـ أنا . . . ما الفارق ؟ أنا لا أعرف شيئاً عنك ، وربما لن

أراك ثانية . . .

ـ ولكنك لا تحبين رفقتي ؟ هيا . . لنكن صريحين . .

ـ ولكنني لم أرافقك من قبل . . . أنا لا . . .

ـ لا تعرفيني ؟ لا تكرري كلامك يا سامنتا . ربما لو أتيحت لك الفرصة ، تعرفيني بشكل أفضل .

بدا واثقاً جداً من نفسه فقالت على الفور ، دون أن تعني كلمة مما تقوله :

ـ ليس لدي الرغبة في أن أعرفك أكثر . . . أفضل أن نعود ، وإلا ستتأخر عن موعد الغداء .

وبدا بالعودة ، وبقيت صامتة ، بينما كان هو يتحدث . وعند باب المنزل توقفا وقالت له :

ـ حسناً . . الوداع يا دكتور أوزل .

ـ سأعود إلى لن لندن غداً صباحاً ، ومن دواعي أسفي أنني لن أستطيع أخذك معي . . فلن تعودي قبل يوم على الأقل ، ولا فائدة من ذكر هذا . . . فأنا متأكد أنك لن تعودي معي أليس كذلك ؟

وأمضت بقية يومها في المنزل . وفي الصباح التالي كانت في غرفة نومها عندما زارهم . ووقفت خلف شتاء النافذة تنظر إليه . وتمهلت في ترتيب السرير ، وهي تضع نفسها بأنها لا تريد رؤيته ، ولكنها استاءت عندما غادر المنزل دون أن يناديها أحد

ليقول لها إنه هنا . وعندما نزلت إلى الطابق الأرضي ، قالت جدتها إنه أتى لوداعهما وقال إنه ودّعها من قبل وأضافت :

ـ أنه عائد إلى هولندا مساء اليوم ، ولكنه سيمر ليزور مدبرة منزله المسكينة أولاً . .

عندما عادت إلى وظيفتها بعد ليلتين ، وجدته هناك ، يتبادل الحديث مع الرئيسة غريفز . وحيته تحية مقتضبة ، وانتظرت ، بهدوء ، وعيناها على وجه الرئيسة المفعم بالحيوية ، وتحولت عيناها نحو الدكتور الوسيم عندما قال لها «أهلاً سامنتا ، أرجو أن تكوني تركت جديك بخير ؟» .

وانتصبت غاضبة ؛ كيف يدعوها سينيتيا أمام الرئيسة ؟

ـ لقد تركتهما بخير تماماً ـ شكراً لك .

والتفت مبتسماً إلى الرئيسة عزيفز !

ـ حسناً لن أؤخرك عن عملك . . عمت مساء . . وشكراً جزيلاً ، لقد كنت أكثر من لطيفة .

واستدار لسامنتا وابتسم ابتسامة ساخرة :

ـ وعمت مساء أنت أيضاً . . يا رئيسة الممرضات .

بدأت سامنتا جولتها في العنبر ، تحيي المرضى اللواتي تعرفهن وتتعرف على الجدد ، وقدمت للمريضات الحبوب والأدوية وما يلزم من الأبر . وبحلول الساعة الحادية عشر ، كان العنبر هادئاً . وذهبت الممرضة براون لتعد القهوة واتجهت سامنتا

إلى المكتب ، لتراجع التقارير مرة أخرى . وسمعت الباب يفتح فهمست «لقد اعتقدت أنك لن تعودي ! »

ـ هذا ألطف شيء قلتيه لي حتى الآن !

همس الدكتور أوزل كان في أذنها ، فقد انحنى فوق كرسيها ، واستدارت بجدة لتجد أن عيناه الرماديتان على بعد إنش واحد منها .

ـ لقد قالت جدتي إنك مسافر إلى هولندا .

ـ هذا صحيح . . ولكنني عدت لأرى شخصاً ما .

ووقفت سامنتا بوقار قدر ما يسمح به الحكمان ، ولم يتحرك من مكانه .

ـ إذا عدت لترى جفرو بوت ، فقد تأخرت ، إنها نائمة !

ـ لقد رأيتها عند المساء .

ـ إذن من أتيت لترى ؟

ـ آه . . لقد رأيته ، لقد رأيته وأنا أمر من هنا . وتطلعت إليه سامنتا وهي تتمنى أن تعرف من هو هذا الشخص . ودخلت الممرضة براون وهي تحمل كوبين من القهوة . ووقفت مكانها عندما شاهدت الدكتور «أوه . . . هل ترغب في القهوة أيضاً ؟» .

وأخذ القهوة من يدها وهو يبتسم «لا شكراً يا عزيزتي ! أنا ذاهب لتوي . . اهتمي برئيسة الممرضات هذه . .

www.elromancia.com

أتسمحين ؟» .

وخرج من الباب ، والتفتت براون إلى سامنتا «ماذا يعني بقوله ؟» .

ـ ليس لدي فكرة . . إنه غريب . . وأظن أن تعابيره اللغوية غير مفهومة !

وتناولت القهوة ، وأكملت سامنتا تقريرها ، ونسيتا كل شيء عن الزائر ، أو تقريباً ، فعندما وقفتا لتقوما بجولة بين المرضى ، همست براون «إنه لطيف ، أليس كذلك ؟ . . . رومانسي . . لقد سحرني . .

ـ إنه لطيف جداً . .

في لأسبوع الذي تلا ، قرر عمال المستشفى الإضراب ، وقالت تبسي ، أكبر خادمات العنبر «أنا لا أحب الفكرة ، ولكنهم يقولون إن السبب هو المال فرواتبهم لا تكفيهم . . .» .

لم تسىء الأحوال كثيراً في اليومين الأولين . فقد تشاركت الممرضات العمل الإضافي . وقمن بالتنظيف والغسيل مشاركة . وحضر السير وايت ليقوم بجولته باكراً في الصباح الثالث ، ووجد سامنتا في المطبخ بعد الوقت المحدد لها بكثير ، تغسل الأكواب والصحون ، بينما الرئيسة غريفر تكنس العنبر ، وأشار إلى سامنتا قائلاً :

ـ لقد تأخرت ساعتين زيادة على دوامك ، ومن المستحيل

أن تتابعي واجباتك التمريضية ، وتعملين كخادمة في نفس الوقت . فقد تقصّرين بهذا تجاه المرضى .

ـ لا أنا لست مقصرة تجاههم

وحدّق بوجهها التعب من خلال نظارته

ـ لا . . لم يكن يجب أن أقول هذا . . أعتذر ، ولكن يجب تحذيرك أيتها الشابة . سأرى ماذا أفعل . . .

ذلك المساء عندما توجهت باكراً إلى المطبخ للمساعدة في تنظيف الصحون ، وجدت الدكتور أوزل عند المغسلة بينما كان السير وايت ينشف الصحون بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع أدوات الجراحة . كلا السيدين كانا يرتديان القميص فقط ، ويدخنان الغليون ، وكان الجو عابقاً برائحة الدخان والخبز المحروق والفاصوليا المطبوخة ، والرائحة الخاصة بصابون التنظيف . والتفت إليها السير جوشوا وحياها قائلاً «لقد قلت لك إنني سأرى ماذا سأفعل» هل تناولت إفطارك ؟» .

ـ لا . . سأتناول الطعام عندما أعود إلى شقتي ، فأنا أنام خارجاً يا سيدي . .

وحدّق السير متفرساً ، ووضع الدكتور أوزل غليونه على الرف وسألها «وما نوع طعامك ؟» .

ـ أوه . . شاي وتوست ومربى . . بالطبع .

ـ هذا لا يكفي . . ستخسرين من وزنك .

والتقط غليونه ثانية ، وضحك ، فشعرت بخديها يحمّران ، فاستدارت . كانت تشعر تجاه جسميها بالحساسية ، ربما يظن أنها سمينة . وتابع سؤاله «وماذا عن ممرضتنا الصغيرة براون ؟ هل تسكن في الخارج ؟

ـ إنها في الثامنة عشر ، ومنزلها قريب من هنا ، لذا تذهب إلى منزلها لتناول الغذاء والإفطار .

واتجهت نحو الرف ، والتقطت علبة الشاي والنسكافيه ، ووضعتهما على الطاولة وقالت لهما «هل استطيع أن أستلم العمل عنكما الآن ؟»

ـ بالطبع لا . . وأنا كرجل متزوج ، إعتدت على تنشيف الصحون عند المساء ، وبالنسبة للدكتور أوزل ، بما أنه عازب ، فهي فرصة رائعة له ليتعلم فنّ الزواج .

ورمى المنشفة إلى الزاوية وأخذ أخرى نظيفة من سامنتا .

ـ سنعود عند الصباح أيضاً ، لقد رتبت كل شيء مع الرئيسة غريفر . . .

فتمتمت سامنتا بالشكر ، وعادت إلى العنبر لتساعد رئيسة ممرضات النهار .

لم تصدق تماماً ما قاله السير جوشوا بأنهما سيعودان عند الصباح ، ولكن عندما دخلت المطبخ لمساعدة الممرضة براون بتحضير شاي الصباح ، وجدت الرجلين هناك ، والطاولة

المتحركة جاهزة ، وإبريق الشاي يغلي والدكتور أوزل يمسح الزبدة على الخبز . واستطاعت هي وبراون أن تذهبا إلى العنبر لترتيب الأسرّة للمرة الأولى منذ أيام ، وقامتا بعمل كثير لممرضات النهار واستطاعتا أن تنتهيا في الوقت المحدد . ونظرت نحو المطبخ لتجد أن الرجلان قد ذهبا . فتنهدت وبدأت النزول إلى غرفة الملابس ، فارتدت المعطف ولفّت الشال على رأسها ، دون أن تنظرني المرآة ، وغادرت المستشفى .

كانت تعبة ، والأكثر من هذا ، إنها كانت جائعة ، ستشتري بعض الطعام وهي في طريقها إلى الشقة ، وتثاءبت ولكنها قطعت تثاؤبها عندما رأت الدكتور أوزل يقف عند المدخل ينتظرها .

وأدخلها إلى سيارته الرولز ، وجلس إلى جانبها ، وقاد السيارة قبل أن تستطيع القول «أنت مجنون . . . أعني أنني عائدة إلى شقتي ، ولكن عليّ أن أشتري بعض الطعام و . . .» .

ـ أنت تعبة جداً ، ولن تستطيعي أن تطبخي . ستتناول الإفطار في مكان ما ثم تذهبين إلى المنزل لتنامي .

ـ لا أستطيع . . الخروج . . أعني . . أنظر إليّ لا زلت في ثياب العمل تحت هذا المعطف ، ولم أزيّن وجهي أو شعري ، ولديّ كومة غسيل . . .

ـ الإفطار أولاً . . وسنناقش أمر الغسيل فيما بعد . . وتبدين لا بأس بك في نظري .

وتوقف أمام فندق والدورف الفخم ، واستغرق سامنتا بعض الوقت لتتقبل واقع أنها ستتناول الإفطار معه هناك ، وقالت بعنف :

ـ لا أستطيع الدخول هنا . . . لا بد أنك جننت !

ـ لا . . بل جائع ، وأعتقد أنك كذلك ، أعلم أنك تكرهيني ، ومع ذلك تستطيعين الوثوق بي . أعدك بأنك لن تشعري بالضيق .

وكان على حق . فقد قادها إلى غرفة الزينة وساعدوها بعطف على التزيين ، ودهشت للنتيجة ، ثم انضمت للدكتور . وتناولا الطعام لوحدهما في غرفة صغيرة ، وأشرف أحد الخدم على الطعام ، وجعلهما يتناولان المزيد دون أن ينتبها .

وعندما عادا إلى السيارة ، نامت فور تقديمها الشكر له ، وأيقظها عندما وصلا إلى شقتها ، وقالت له بصوت نصف نائم «لا تؤاخذني إذا لم أطلب منك الدخول لتناول القهوة» .

ـ لن أؤاخذك أبداً ، ولكنني سأدخل على كل حال .

وسار معها ، وصعدا الدرج ، وفي منتصف الطريق ، لاحظ أن السيد كوكبورن ينظر إليهما عبر النافذة ، فدفعها بلطف إلى الأمام .

ـ تابعي طريقك . . سأكون معك بعد لحظة .

فهزت رأسها . . ولكن عندما تركها جلست على السلم

ونامت . . .

وانحنى الدكتور نحو نافذة السيد كوكبورن وقال :

ـ أعتقد أنك لا تمانع في صعودي مع الآنسة فيلدنغ إلى شقتها ؟ إنها مرهقة تماماً .

ـ هل أنت طبيب ؟ أظن هذا . . طبعاً لا أمانع ، مسكينة إنها مرهقة . . . تستطيع الصعود يا دكتور مع بركاتي . .

وفي الشقة ، أخذ يوقظها «استيقظي يا فتاتي العزيزة . . اذهبي وخذي دوشاً ثم إلى الفراش» .

ـ لا أستطيع يجب أن أكوي ثياب العمل لهذه الليلة .

فوضع يده في طريقها ، وأدارها ثم سار معها «الحمام أولاً ثم الفراش وسأكوي عنك الثياب» .

حتى وهي نصف نائمة وجدت الأمر مضحكاً :

ـ لا تستطيع هذا بالطبع ، وهناك أشياء أخرى . . .

ـ انسيها . . واذهبي إلى الفراش يا سامنتا ، ونامي جيداً . . .

ووجدت نفسها تطيعه فذهبت إلى الحمام وخلعت ملابسها واستحمت ثم رمت نفسها في السرير . آخر شيء وعت عليه كان رائحة القماش المكوي ، لا بد أن الدكتور كان يحاول أن يكوي ثيابها ، ولو لم تكن نعسة جداً لضحكت مرة أخرى .

وعندما استيقظت عند المساء ، وهي تشعر بالإنتعاش ،

وجدت أنه قد قام بأكثر من الكوي . فالغرف نظيفة ومرتبة ، والطاولة معدّة للعشاء ، وحضّر لها البطاطا ، وأعد إبريق الشاي . ولم تصدق الفتيات الثلاث أعينهن مما رأين ، وعندما شرحت لهن الأمر لم يصدقن آذانهن أيضاً .

وشعرت بالإثارة ، لاهتمامهن وهن يحمّلنها رسائل العرفان بالجميل لتوصلها إليه عندما تراه ثانية ، وهذا ما كن واثقات منه ، وسيكون عما قريب .

الفصل الثالث

تلك الليلة لم تكن هادئة بالمرة ، فقد بقي المرضى قلقون ، والممرضة براون سكبت وعاء القهوة على أرض المطبخ ، وبعدها وقفت على السلم وهي تحمل سلة الغسيل لتفرغها . ودوى صوت الوقوع في كامل الجناح . وأسرع الجميع لمساعدتها في تنظيف المكان ، ومع ذلك فقد انزعج بعض المرضى ، وأرادوا معرفة ما يجري ، ثم بعد إخبارهم أعلنوا أنهم لا يستطيعون العودة إلى النوم . وهذا يعني التجول في العنبر حاملين أكواب الشاي والحليب ، أو التململ على الوسائد ، وبعدما هدأ الجميع استيقظت فتاة مصابة بجروح ، تطالب بصوت واهن معرفة أين هي ولماذا ، وعندما أخبرت أعلنت نيتها على العودة إلى منزلها فوراً . وقامت سامنتا بتهدئتها ، ولكن بعد أن أيقظت عدة سيدات مرة أخرى يطالبن بالشاي مجدداً .

ورن جرس الهاتف عند طرف غرفة الطعام ، بينما كانت سامنتا تتناول وجبة منتصف الليل ، وكانت براون على الخط لتقول أن عليها أن تأتي بسرعة لأن السيدة جيف تشعر بالألم في صدرها ، وليست بخير . وضعت سامنتا ما تبقى من طعامها في

www.elromancia.com

فمها ، وأخذت تمضغه ، وهي تسير مسرعة إلى العنبر ، وكانت السيدة جيف تجلس في الفراش وتبدو قلقة ، كما كانت تبدو المسكينة الصغيرة براون ، وأمسكت سامنتا بيد السيدة جيف لتقيس نبضها ، وكان نبضها ضعيفاً ، وباردة ، لونها شاحب ، ونفسها يلهث ، ولم تشكل سامنتا بأن هذا دلائل انسداد رئوي .

ـ سنحضر الدكتور ليفحصك ، وسيعطيك شيئاً يريح ألم صدرك . .

والتفتت إلى براون وتابعت .

ـ إتصلي فوراً بالسيد ميتشل . . واطلبي منه أن يأتي فوراً ، ثم اتصلي برئيسة الليل . . أرجوك .

وعادت إلى الإمساك بيدها ، وباليد الأخرى أدارت أنبوب الأوكسجين ووضعت الكمامة لها «خذي بضع أنفاس من الأوكسجين» . وحضر جاك وأعطاها إبرة مهدئة ، وكتب وصفة أخرى لها ، وقال إنها يجب أن ترتاح دون حراك لبضعة أيام ، واستغرقت المريضة في النوم ، وبراون تجلس أمامها ترعاها كالأم الحنون .

ومرت باقي الليلة بهدوء ، ولكن كان عليها أن تبدأ باكراً ، لتحميم المرضى وتحضيرهن للفطور ، وقبل أن تضاء الأنوار في الوقت المحدد ، كانت السيدة جيف قد تحسنت واستطاعت براون أن تتركها .

وكانت سامنتا تغسل وجه جفرو بوت ، عندما فوجئت بها

تقول «ليلة . . ليست جيدة» «بالمرة» أجابت سامنتا ، وقد نسيت أن مريضتها لا تعرف الإنكليزية «وأنت كنت صاحية يا عزيزتي ، وعيناك مغمضتين حتى لا تزعجينا . . ليباركك الله» .

وحدقت جفروبوت في وجهها بتفهم ، وشعرت سامنتا بأنها قد فهمت كل كلمة قالتها ، وابتسمت لها واستدارت لتذهب .

وذهلت لمشاهدة الدكتور أوزل في المطبخ مع السير جوشوا ، عندها دخلت لتحضر بعض الحليب لجفرو بوت ، وقالت «لم أعتقد . . أعني . . لقد اعتقدت أنك في برمنغهام» .

ـ صحيح يا فتاتي العزيزة . ولكنها لا تبعد أكثر من ساعتين ، ولم أرغب في أن أتأخر عن فطوري .

وأخذت الحليب وخرجت ، وهي تفكر أن الأمر سيكون مريعاً لو أن الدكتور ظن أنها تسعى وراء فطور آخر .

وودعت الريّسة ولحت لبعض المرضى ، وذهبت في طريقها نزولاً على السلم . ووصلت إلى آخر درجة في السلم عندما ظهر الدكتور أوزل فجأة أمامها : «سأنتظرك في الخارج يا سامنتا ، ولا تتأخري ، فأنا جائع !»

ـ ولكن . . أتريدني أن أتناول الفطور معك ثانية ؟

ـ أريد نصيحتك حول شيء ما .

ـ نصيحتي ؟

ـ صحيح . . حول كلارا . . سنتكلم عنها عند الفطار .

ـ حسناً . . تستطيع أن تسألني الآن ، وليس عليك أن تأخذني لتناول الطعام .

ـ ليس علي أن أفعل شيئاً . . فأنا أفعل ما يحلو لي . .

وبعد تناولهما الطعام ، وتناول القهوة ، قال لها !

ـ آه . . أجل . . حول نصيحتك يا سامنتا . كلارا بحاجة إلى معطف جديد وقبعة تناسبه . ستغادر المستشفى خلال يوم أو يومين ، وأشعر أنها مناسبة لأن أهديها شيئاً . ربما فستان أيضاً . ما رأيك ؟

ـ إنها فكرة رائعة . . هل تعرف مقاسها ؟

ـ لا . . ظننت أنك قد تساعديني .

ـ تعني أن آخذ مقاسها ؟ . . أجل . . بالطبع سأفعل !

ـ ربما تكوني لطيفة بما يكفي لتشتري لها أيضاً ؟

ـ سأكون مسرورة . قل لي كم تنوي أن تصرف من مال . لدى بعض أيام الفراغ . وسأشتري ما تريد .

ـ رائع . . سآخذك من خارج منزلك ، أهذا مناسب ؟

ـ لا حاجة لهذا . . أستطيع بسهولة . . .

ـ أنت فعلاً ممن يعتمد على نفسه يا آنسة . . أليس كذلك ؟ أستطيع أن أفهم أنك تكرهيني ، ويؤلمك أن تقولي هذا ، أليس كذلك ؟ ولكن هذه ليست مناسبة اجتماعية ، إنها فقط عملية

تسوق ، وهي ضمن نطاق واجباتك .

وتنهدت عميقاً وبدأت التحدث بسرعة قبل أن تغير رأيها :

ـ أنا لا أكرهك ، لم أعد أكرهك في الحقيقة . إنك متعجرف ويدك طائلة وأنت . . أنت تضحك علي . . ولكنك كنت لطيفاً جداً معي أيضاً . ومع أنك لا تعمل في المستشفى ، فقد كنت رائعاً في مساعدتك لنا في المطبخ ، وقمت بكل ذلك العمل المنزلي في شقتي و . . . .

ـ وفري علي الخجل يا فتاتي العزيزة . . فهذا مدعاة لسروري . . . وأنا سعيد بأن يكون هذا بداية صداقة جميلة بيننا . . . أعندك عمل بعد غد ؟

ـ لا . . ليس عندي عمل . .

ـ جيد . . هل يناسبك الساعة العاشرة ؟ وهل تحضري معك مقياس كلارا وما إلى ذلك ؟

فأجابته بنعم ، وشعرت بالسرور عندما قال :

ـ لقد عنيت ما قلت عن الصداقة الجميلة ، فلا يدري الإنسان متى يحتاج إلى ممرضة جيدة .

عندما التقته ، كانت السماء تمطر ، واضطرت لارتداء معطفها الواقي ، ولفت رأسها بمشلح ، وحملت أحسن حقائب يدها والقفازات أيضاً ، وارتدت حذائها العالي الجوانب ، بعد أن كانت ارتدت فستانها الصوفي الذي تخبئه للمناسبات

الخاصة ، ولم تعترف لنفسها بأنها تأمل في أن يدعوها للغذاء .

وبعد أن ارتاحت في مقعدها إلى جانبه سألته :

ـ لم تقل لي كم تريد أن تصرف من مال .

ـ أنا آسف . . ولكنني لا أعتقد إن كلارا تهتم كثيراً بالأزياء الفاخرة ، ولكنني أرغب في أن أشتري لها شيئاً جميلاً . . لنقل بحوالي مئة جنيه وهذا رقم تقريبي . .

ـ هذا كثير . . الكثير من النساء لا يملكن هذا المبلغ لصرفه على ملابسهن طوال السنة . . . وهناك شيء أخر أود أن أقوله . . .

ـ اتعرفين يا فتاتي العزيزة . . . أعتقد أنني أعرف بالضبط ماذا ستقولي . .

ـ أستطيع القول بأنك تعرف حقاً . . لا بد أن الفتيات الأخريات قلن لك هذا من قبل.

ـ في الواقع لا . . والآن قولي لي إذا كنت على خطأ . لقد استنتجتي إنني رجل ثري . وإنك قلت لي منذ أيام إنك لم تعودي تكرهيني . وإنك تخافي أن أعتقد أن تغيير مشاعرك نحوي عائد لهذا الواقع . هل أنا مصيب ؟

ـ وكيف عرفت ؟

ـ أنا لا أفتقر لدقة المراقبة يا سام الصغيرة . وفي هذه اللحظة كل مشاعرك تظهر على وجهك . وكل فكرة لديك بأنك

بأنك تحتلي دور الباحثة عن الذهب هي أفكار سخيفة !

ـ ليس عليك أن تقول هذا ، فالباحثات عن الذهب ، جميلات ويرتدين ثياباً جميلة ومسليات و . . .

ونظر إليها نظرة ساخرة وهو يوقف السيارة ، ولم يقل شيئاً . . . ونزلت من السيارة ودخل إلى جانبها ، المحل . . يتملكها الغضب ، لا على الدكتور بل على وجهها العادي وشعرها الأملس ، ولأنها لا تملك قرشاً لتشتري الملابس التي تشتهيها . وبدءا التجول في قسم المعاطف ، وحدقت سامنتا بالمعروضات وتقدمت البائعة الأنيقة لتسأل الدكتور ما تطلبه زوجته . واحمرت وجنتاها ، وشرحت لها ما يطلبانه ، وانهمكتا بالعمل وتركتاه يجلس في مقعد . وهو يراقبهما بسرور وراحة ، واختارت معطفاً من التويد ، واسع قليلاً ليغطي نحافة مدبرة منزله ، وفستاناً صوفياً مناسباً ، وأرته ما انتقت وهي تذكر السعر . ثم سألته إذا كان يرغب في شراء قبعة .

ـ طبعاً يا فتاتي العزيزة . . هل نتفحصها معاً . .

وتجولا ينظران إلى القبعات ، ترافقهما بائعة أخرى ، وتوقف عند قبعة لها انحناءة جميلة وبعض الريش «الآن . . . أحببت هذه . .»

ـ أوه . . لا . . ليس لأجل كلارا .

ـ لا . . ليس لكلارا . . بل لسام .

ـ أوه . . أجل ، قد تناسب الجميع . . إلا كلارا ، ربما قبعة مخملية ليست كبيرة، تناسب شعرها.

وفتحت البائعة جارورا وبدأت تخرج قبعات منه فقال :

ـ إن لك شعر طويل أيضاً يا سامنتا .

ـ أوه . . أجل .

والتفتت عنه لتنتقي قبعة مناسبة ، ثم ووضعا المشتريات في صندوق السيارة ، وسارا يتجولان تحت المطر . . وتحدث الدكتور عن نفسه ، وهذا شيء لم يفعله من قبل ، واستمعت سامنتا باهتمام إن له جدة مسنة يحبها كثيراً ، وإن والداه ميتان ، وإن له شقيقان أصغر منه يعيشان في كندا ، وإن له خبرة كبيرة في عمله ، ولكنه اضطر إلى تركها لصديق قديم له لفترة صغيرة يهتم ببعض القضايا العملية في لندن . وقال : «إنها قضية منزل ، حيث وجدوا المسكينة كلارا ، كان لعمتي الإنكليزية وتوفيت وتركت لي المنزل ، لقد تركتها هناك لعشر دقائق فقط كم ألوم نفسي . .

ـ لا يجب أن تلوم نفسك ، لقد قلت لها أن لا تلمس شيئاً إلى أن تعود .

ـ وكيف عرفتي ؟ إنها لا تتكلم الإنكليزية ، وأشك في إنك تتكلمي الهولندية ؟

ـ ومع ذلك فمن المدهش ما تستطيع التحدث به على كل

حال . لقد أمضيت معها وقتاً طويلاً . . والتقطت بعض الكلمات وتعلمت هي البعض مني ، وفهمنا بعضنا جيداً . . ونتبادل الآن أحاديث مطولة . . .

وتنهدت بعمق وقد بدأت تشعر بالتعب ، فحوق بها وقال بصوت رقيق قلما يستخدمه «ما رأيك بالغداء ؟ أنا . . .

وتوقف وألقى نظره على نهاية الساحة وهو يقطب متسائلاً :

ـ ما هذه الفوضى هناك ؟

ونظرت سامنتا أيضاً ، وهي منزعجة لانقطاع عرض الغداء . لقد كان هناك بالفعل بعض الفوضى ، عند الطرف الأخر من الساحة ، وبعض الصرخات المتفرقة وأشخاص يلوحون بأذرعتهم ، ودوت فجأة صفارات البوليس ، وتوقف السير عن الحركة ، وبدأ الناس بالتراكض ، وبرزت سيارات البوليس بسرعة ، ووقفت سامنتا على أطراف أصابعها لترى ماذا يحدث وقالت : «أنظر أنهم يقفزون من الباحات» .

وأمسكت بذراعه وأمسك بيدها يطمئنها «إنهم يخرجون من التاكسيات أيضاً !»وتجهم وجه الدكتور ، وبينما أحد المارة يمر من أمامهم أوقفه الدكتور سائلاً «ما الأمر ؟» . . . «إنها قنبلة ! هناك ! ستنفجر في أية لحظة . . أتركني أذهب !» .

وتركه فوراً واستخدم ذراعه ليحوط بها سامنتا ، التي شعرت بالإرتياح فوراً ، وقال «لنعد في نفس الطريق» دون أن يظهر عليه

أثر للقلق ، وبدأ السير رجوعاً قاطعاً الطريق في نفس الوقت . وابتعدا عن زاوية الساحة أكثر من مئة يارد ، ملتزمان جانب الرصيف الداخلي ، تاركين الناس تتدفق من أمامهما ، ودفعها على الجدار ومال فوقها وضغط عليها ليحميها تماماً . وللحظات كانت خائفة جداً ، ودفنت رأسها في صدره . ضربات قلبه المتزنة على وجهها ، ووجدت نفسها دون وعي تعد الضربات ، وأذنيها الخبيرتين لاحظتا أن الضربات أعلى من المعدل قليلاً ، ولم تعد تسمع الضوضاء من حولهما ، ثم سمعت انفجاراً قوياً وأصوات الزجاج يتحطم ثم أصوات سيارات الإسعاف والإطفاء .

ورفعت ذراعه قليلاً لتتنفس «هل أنت بخير يا سام ؟ آسف لضغطي عليك هكذا» وابتعد عنها ، واستمر في الإمساك بها ، وتفحصها جيداً .

ـ وهل أنت بخير أيضاً . . .

ـ إذا شعرت إنك قادرة تعالي لنساعد . . .

وأمسك بيدها واندفع الساحة بصعوبة ، وكان الناس يتراكضون في كل اتجاه . . الزجاج محطم وواجهات المحال كذلك ، والسيارات . ووصلا إلى حيث الإنفجار ، العديد من السيارات محطمة ومنقلبة على جوانبها . وهنا توقف الدكتور ، عند باص منقلب ، وكان واضحاً أن ركابه لم يستطيعوا الخروج كلهم في الوقت المناسب ، وكان البوليس هناك ، يخلصون

الناس بأسرع وقت ممكن ، ولم يضع الدكتور أوزل وقتاً ، ورتب وربت على كتف ضابط بوليس «هذه السيدة الشابة ممرضة ، وأنا دكتور ، هل نستطيع المساعدة ؟»

وأشار الرجل برأسه إلى أكثر من ستة أشخاص مصابين يجلسون أو يستلقون على الطريق . . ثم تابع عمله ، وقال الدكتور لسامنتا «تعالي» . وبعد قليل من الوقت لم تعد تستطيع عد الضمادات التي استخدمتها والأذرع والسيقان المكسورة التي اعتنت بها ، بينما كان الدكتور يقوم بعمله بدقة وسرعة ، ونظفت الجروح عن الوجوه والرؤوس ، وبدأت سيارات الإسعاف تصل ، وكان عليهم شق طريقهم وسط زحام السير ، ولم تلاحظ سامنتا كم مضى الوقت عندما قال لها الدكتور أخيراً «لقد انتهينا . . لم يعودا بحاجة لنا . . هل نذهب ؟» وأخذت يد رفيقها بعد أن استلم رجال الإسعاف منها طفلاً كانت تعالجه ، ثم بدأ يشق طريقه عبر الركام . وبدت المسافة طويلة للعودة إلى السيارة ، ولكن ربما كان هذا أمر جيد لأنها لم تتضرر ، وأجلسها فيها وجلس إلى جانبها .

وقال «كنا سنتناول الغداء . . ولكن أظن أن عليك أن تذهبي فوراً إلى الفراش» .

وطال الوقت حتى وصلا إلى الشقة ، فقد كان عليهما أن يستديرا بالسيارة إلى مكان بعيد ، وعندما وصلا إلى باب المنزل فك لها حزام الأمان وأسرع يفتح لها الباب ويحيطها بذراعه

ليساعدها على الصعود ، وفتح لها الباب ودفعها بلطف إلى الداخل : «سأغيب عشر دقائق ، وعندما أعود يجب أن تكوني قد خلعت ملابسك ورقدت في الفراش ، هل هذا واضح ؟ وهذه أوامر الطبيب .

وعندما ذهب ، بدأت تخلع ملابسها ببطء ، وترتبها أكثر من المعتاد . وما كادت تدخل الفراش حتى سمعته يعود ، وذهب رأساً إلى المطبخ ، ثم سمعت إبريق الشاي يُملأ ثم صوته وهو على النار . لقد بدا وكان قدره أن يدبر لها شؤون منزلها ، وأغلقت عيناها .

ـ لا . . لن تنامي . . . إشربي هذا أولاً . .

وأعطاها كوباً مليئاً بالشاي ، ثم خرج وعاد بوعاء مليء بالحساء مع ملعقة «وهذا أيضاً» . الحساء كان لذيذاً ، لم تكن قد ذاقت مثله من قبل وقالت له هذا ، فرد باقتضاب .

ـ لست مندهشاً . . لقد وضعت فيه شراباً خاصاً . . .

ـ ولكن ليس لدى . . .

ـ أنا عندي . . هذا أفضل تبدين نفسك مرة أخرى . . . ليس لأنني لم أجدك جذابة وأنت مرتعبة ، بل لأنني أحب شعرك وهو منسدل على كتفيك . . اذهبي الآن للنوم . . .

وأغلقت عيناها بعد أن سمعت الباب يغلق ، ولم تستيقظ أبداً ، حتى عندما وصلت رفيقاتها الثلاثة ، ودخلن ليتفحصاها ، وعندما لم تستيقظ رجعن إلى غرفة الجلوس ، وأخذن ينظرن إلى

بقايا الطعام وإلى الدجاجة المطبوخة والحساء وكمية من التفاح والليمون والعنب تتدلى عن طاولة المطبخ .

في الصباح التالي زارها ، وقال معتذراً «أعتقد أنه يجب علي أن أزورك لأطمئن عليك ، أشعر بالمسؤولية لما حصل أمس ، لما كنت هناك لولا أن طلبت منك أنا . . . أتذكري ؟ . لقد ناديتيني جيلس !

ـ أجل . . حسناً ، كان هذا بشكل فجائي . . لم أكن أفكر . .

ـ كم هذا مؤسف . . إعتقدت أنك قد عنيتها ، ألا تستطيعي مناداتي هكذا وقد أصبحنا الآن أصدقاء ؟ تذكري دوماً أن تناديني باسمي الأول .

وهزت رأسها بالإيجاب وقبل أن تتكلم ذكر أنه عائد إلى هولندا في اليوم التالي .

ـ هل أنت مسافر ؟ وماذا عن جفرو بوت ؟ هل ستسافر أيضاً ؟ وهل أنهيت عملك في لندن ؟ ألن تعود ؟

ـ أنا أعيش في هولندا ، وأعمل هناك معظم وقتي . ووجدت أن علي أن أنتظر فالطرف الثاني المشترك لا يلائمني .

واتسعت عيناه وحدق بها «مع الوقت سيأتون إلي لاهثين !» وابتسم ببطء وهو يتكلم . لم تكن لديها فكرة عما يتحدث ، إضافة إلى أن خيبة أملها قد خففت قدرتها على الكلام ، واعترفت لنفسها ! هذا سيعلمك درساً يا فتاة . . وأخذت تفكر

بشيء تقوله . وكانت كأنها تراه للمرة اولى ، وقد أحبت ما رأت . . معرفتها هذه اطلقت شحنة من المشاعر تتسابق في داخلها .

ـ حسناً ، آمل أن تحصل على الأفضل . . ستعذرني لو طلبت منك الذهاب الآن . . لدي . . . لدي أشياء أفعلها . . » .

ومدت يدها المرتجفة وأراحتها في يده «وداعاً دكتور أوزل !» .

ـ جيلس .

ـ أجل . . جيلس .

وأجبرت نفسها على الإبتسام وهي تسير نحو الباب معه ، وعندما ذهب وقفت واتكأت على الباب ، تستمع إلى صوت خطواته السريعة على السلم ، وعندما لم تعد تسمعها عادت إلى غرفتها ، وبدلت ملابسها ، وقلبها يبكي وهي تفعل . . .

الفصل الرابع

بعد أسبوع ، انتهى الإضراب ، ونقلت سامنتا فجأة من خدمة الليل إلى خدمة النهار ، وزارت جفرو بوت ، عدة مرات آملة أن يكون جيلس أوزل هناك ، ولكنه لم يحضر . ولم تكن تعلم إذا كانت العجوز ستعود إلى هولندا أم تبقى في لندن .

ونقلت سامنتا إلى جناح المرضى الخصوصيين . . . وهذا أمر لم تحبه ، لأنه يعني العمل الزائد . والمرضى هناك كل له غرفته الخاصة ، ويسرع إلى دق الجرس لأتفه الأسباب . عزاءها الوحيد أن الأمر مؤقت . وكما قالت لها الآنسة فليتشر ، فالأمر سيدوم بضعة أسابيع ، ثم سترقى لتصبح رئيسة ليل في قسم العمليات ، وهذا سيزيد راتبها ، ومع أنها يجب أن تكون مسرورة ، إلا أنها لم تكن كذلك لأن فكرها كان مشغولاً على الدوام بجيلس ولا تهتم بشيء آخر .

وصلت إلى عملها الجديد قبل عدة دقائق من الموعد المحدد ، وهذا أمر جيد ، لأن رئيسة القسم الخصوصي ، باركنز ، كانت متمسكة بالنظام . وكانت تنتظرها في المكتب ،

وأجلست سامنتا أمامها وشرعت في إعطاءها التقرير ، فعندها اثنا عشر مريضاً ، وتابعت بإعطاء التفصيلات وأنهت بقولها .

ـ هناك حالة سترد الليلة ، الرقم عشرة ، وهي تحت رعايتك ، وستتولى زميلتك ، مانرز ، متابعة العلاج وكتابة التقرير إلى أن تتعودي على المريضة ، والدكتور دوغان يشرف عليها فهو طبيب الأسرة التي تقيم معها .

وخرجت سامنتا من المكتب الصغير وأغلقت الباب بهدوء ، وأخذت تبحث عن زميلتها مانرز التي بادرتها قائلة «ها أنت يا عزيزتي . . أنا مسرورة لرؤيتك . لدينا مجموعة من المرضى الخصوصيين الفارقين بين الزهور وزجاجات التراب ، ولا واحد منهم مريض . . أستطيع القول أن واحدة فقط ستكون سيئة الصحة ، هي هذه » وأشارت إلى السرير الذي تعده للمريضة الجديدة . . «أتمنى لك التوفيق سام»وأدخلت المريضه الجديده بينما كانتليز مانرز في غرفة الطعام . وأسرعت سامنتا بقطع جولتها والعودة إلى غرفة المريضة الجديدة ، المريضة كانت فتاة شابة ، شعرها أشقر ، لونها أصفر لأن المرض قد أثر عليها ، وجميلة جداً ، وأجلستها سامنتا في الفراش بعطف وهي تبتسم ابتسامة حرجة ، وخرجت لتعرف من أتى مع الفتاة ، فوجدت امرأة مسنة لا تزال جذابة قدمت نفسها على انها السيدة ديقنش .

ـ أنا لست قريبتها . . لقد كانت انطونيا تقيم معي لأسبوع أو اسبوعين ، ثم مرضت ، وفضل الدكتور دوغان أن تدخل

المستشفى لفترة .

وقدمت سامنتا لها كرسياً وجلست إلى الطاولة :

ـ بعض الخصوصيات عنها لو سمحتي ! . . .

وأخبرتها أن إسم الفتاة انطونيا دويرن ، وإنها في الثامنة عشرة ، وإنها هولندية تعيش في بلدة اسمها دوكوم في فريسلند مع أمها . وتابعت السيدة شرحها «أخوها صهري . لقد اتصلت به ، وسيحضر مع صوفيا ، ابنتي ، في أقرب وقت ، أتريدي رقم هاتفي ؟

وبعد أن سجلت سامنتا كل شيء سألتها السيدة إذا كان بإمكانها العودة إلى غرفة المريضة لترتب لها ثيابها .

ـ أعرف إنك مشغولة . . فالممرضات هكذا دوماً . . أأستطيع زيارتها غداً ؟

ـ طبعاً سيدة ديفنش . . فالمرضى الخصوصيون يستطيعون استقبال الزوار ساعة يريدون .

عندما عادت سامنتا إلى الغرفة رقم عشرة ، كانت السيدة قد ذهبت ، والفتاة تبكي «ما بك الآن يا عزيزتي ؟» وردت الفتاة بانكليزية ممتازة «أبدو رهيبة هكذا» .

ـ أنت جميلة جداً ، ولن يظهر عليك شيء . ولن يدوم الأمر . سأغسل وجهك ويديك ، وسيأتي الطبيب المناوب يراك . . إنه شخص لطيف .

وتهلل وجه الفتاة «هل هو لطيف حقاً . .» وهل ستضايق . . . . ؟

ـ لن يلاحظ أي اصفرار في وجهك . والدكتور دوغان قادم أيضاً . وغسلت لها وجهها ويديها ومشطت شعرها وقالت :

ـ ها أنت . . أليس هذا أفضل ؟

وابتسمت لهاالفتاة وقالت «أنت لطيفة ! ما اسمك ؟»

ـ الممرضة فيلدنغ . .

ـ لا . . بل أعني اسمك الأول .

ـ سامنتا .

ـ هل لي أن أدعوك سامنتا ؟ وأنت ناديني باسم انطونيا .

ـ ولماذا لا . . ولكن ناديني بالممرضة عندما تكون الريسة هنا ، إنها متمسكة بالنظام .

ـ متمسكة بالنظام أم متزمتة ؟

وضحكت سامنتا «لا أشك في إنها متزمتة ، ولكن هذا يعني حقيقة إنها نظامية .

ـ وأنت ؟ هل أنت نظامية ، أنت مثل عزيزتي صوفيا ، زوجة أخي ، فهي جميلة .

وأقبل الطبيب المناوب ، جون ويلز ، وبعده مباشرة دخل الدكتور دوغان ، وفحصاها ثم كتب الدكتور دوغان الوصفة الطبية لها ، وغادر الغرفة ترافقه سامنتا . وعند باب الممر وقف لينظر

إليها ويقول :

ـ شكراً لك أيتها الممرضة . . ما هذه الإشاعة التي سمعتها عن ترقيتك إلى ريسة ليل في قسم الجراحة ؟

ـ لا أعرف شيئاً عن هذا سيدي . لم يعرض على المركز بعد . قيل لي إنني من الممكن أن أحصل عليه لو شئت .

ـ آه . . أجل . . هكذا إذاً . . وهل ستقبلي به ؟

ـ أعتقد أنني سأفعل ، سيدي .

ـ حسناً ، أتمنى أن تدرسي الموضوع قبل أن تقرري ، هناك بدائل دوماً .

وتركها وذهب ، ووقفت تفكر . ماذا يعني بقوله ؟ ألا يريدها أن تأخذ الوظيفة ؟ ما تعرفه عنه إنه لا يكرهها ، إذا لماذا بحق السماء يقدم إليها هذه النصيحة ؟ . وتوجهت عائدة إلى الغرفة رقم عشرة .

أنطونيا مريضة ، ولكن ليس بالسوء الذي يدفعها للأسف على نفسها وأحبتها سامنتا ، وتوافقتا معاً ، حتى عندما كانت تشعر أنطونيا بالقلق وتهاجم الجميع ، حتى سامنتا ، ولكن سامنتا لم تبال ، لأن انطونيا كانت فعلاً مريضة ، تعاني مرض اليرقان ، والحمى من وقت إلى آخر .

في اليوم الثالث ، بعد أن تناولت انطونيا طعاماً خفيفاً أجبرتها عليه سامنتا ، قرع الباب ، وأسرعت سامنتا لترتيب

المكان ومشطت شعر مريضتها ونظرت برضى إليها وطلبت من الطارق الدخول .

ودخل شخصان ، فتاة جميلة بشكل مذهل ، شعرها متجعد ، وأنف جميل طالما أعجبت سامنتا بطرازه ، وشاب أسمر ، طويل وضخم وقالت الفتاة «لا بأس إن دخلتما ، صوفيا . . رولف ، أوه كم جميل أن أراكما ! ما هذه المفاجأة العظيمة !

وجلست في فراشها ومدت ذراعاها لهما ، فقالت الشابة بلطف .

ـ طونيا ، يا صغيرتي المسكينة ، هل تشعري بالإرهاق ؟ كيف التقطي هذا المرض ؟

وأخذ شقيقها يرمقها بفزع «أنت صفراء جداً» والتفت إلى سامنتا «كيف حالك ؟ أنت الممرضة فيلدنغ ، كما أظن ؟ حماتي اخبرتني عنك . . هذه زوجتي صوفيا . . هل تزعجك طونيا كثيراً ؟أخشى أن تكون مدللة كثيراً» .

وردت عليه سامنتا بالمناسب ، ثم قالت إنها التقت بالسيدة ديفتش ، حماته ، وأن انطونيا تتحسن . وهز شقيق طونيا رأسه وقال :

ـ هذا جيد . . في أقرب وقت ملائم سنعيدها إلى المنزل . فبعد مرحلة العلاج ، لا لزوم لأن تبقى وتحجز مكان مريض آخر .

واحتجت زوجته على هذا الكلام ، وكذلك فعلت المريضة ، ولكن بحدة .

ـ ولكنني مريضة ، ومعظم الوقت أشعر إنني مخيفة ، أليس كذلك يا سامنتا ؟

ـ أجل بالطبع أنت مريضة طونيا ، ولكنك تتحسنين طوال الوقت . . . ولن يدوم هذا طويلاً ، وأنت تعرفي .

ـ ولكن لن يكون هناك أحد يعتني بي ، صوفيا لديها طفلها رولف ، وأمي لا تستطيع . . .

ـ سنفكر بهذا عندما يحين الوقت . نحن ذاهبان الآن ، وسنعود عند المساء .

وفتح الباب وخرج ، ثم عاد بعد قليل يحمل العديد من الكتب والمجلات وباقة من الإزهار «لقد نسينا هذه الأشياء طونيا» ووضعها عند حافة السرير ، وعانق شقيقته ، وانتظر إلى أن انهت زوجته وداعها المطول . وسأل سامنتا :

ـ قد نعود في وقت متأخر ، هل هناك ساعات خاصة للزيارة ؟

ـ لا أظن . نحضر الفراش ما بين الخامسة والنصف والسادسة والنصف والعشاء عند السابعة ، وأنا أنهي عملي عند الخامسة ، ولكنني سأبلغ زميلتي الممرضة مانرز بأنكما قادمان .

ومضيا في طريقهما إلى الخارج ، وتنهدت سامنتا لرؤية

هـذين الزوجين السعيـدين ، فسألتهـا انطونيـا «هـل أنت تعبـة ؟ تبدين حزينـة !» وكان نكـران سامنتـا فارغـاً ، وهذا مـا أقنعت به نفسها .

في اليوم التالي ، ذهبت إلى عملها ، وقد قـررت تقريبـاً أن تقدم طلباً لوظيفة رئيسه القسم الليلي . ووجدت أن انطونيا صعبة المـراس ، وتمنت لها يـوماً سعيـداً ، ثم تابعت عملهـا مع بـاقي المرضى ، ولم تعد إلى غرفة انطونيا إلا بعـد التاسعـة . لتجدهـا ثائة الأعصاب .

ـ أنـا تعبة .. من كـل الممرضـات الأخـريـات . أتمنى أن تعتني بي لوحدي يا سامنتا . يجب أن يفعل رولف شيئاً حول هذا الأمر .

ـ ستكـوني محظوظـة . . . فعنـدنـا نقص بـالممـرضـات . وهناك مرضى أخرون بحاجة للعناية . . هيا ، ابتسمي طـونيا . . فصحتـك تتحسن . لماذا لا تـرتدي هـذا الفستان الجميـل الذي احضرته لـك زوجة أخيـك . . وسأربط إلى الخلف ،وتستـطيعي الجلوس وقراءة المجلات ثم تعيريني إياها .

بعد ذلك أمضيتا نصف ساعة مرحـة . وانتقـت انطونيـا عدة أنـواع من الملابس المـوجودة في مجلة الأزيـاء وكانت واثقـة أن شقيقهـا سيشتريهـا لها ، وقـالت «إنه يشتـري لصوفيـا أكوامـاً من الأشياء ، ولا يتوقف عن الشراء . . إنه ثري جداً . وهـو بارون ، وصوفيا بارونة أيضاً .

وتنهدت سامنتا وهي تفكر بجيلس ، فقالت انطونيا فوراً :

ـ أنت غيـر سعيدة . . . وبـالأمس أيضاً . . ستـأشتـري لـك هدية يـا عزيـزتي سام . . ربمـا هذه القبعـة الجميلة على غلاف هذه المجلة .

ـ كم أنت حبيبـة ، ولكنني لن ارتديهـا ، ليس وقت العمـل بالطبع . وضحكت طونيا ، وضحكت سامنتا ، وسمعت دقاً على الباب . وأدخلت إحدى الـطالبات الممـرضات رأسهـا من الباب وقـالت «هناك زائـر» فقـالت سـامنتـا «حسنـاً . . نحن مستعـدان لاستقباله» .

ووقفت عنـد طرف السـريـر ، تشد الغـطاء ، وظهرهـا إلى البـاب ، وهتفت انطونيـا بسعـادة «جيلس» فجمـدت سـامنتـا في مكانها ، وشعرت أن الدم جف من وجههـا ، وقلبها بـدأ يخفق ، غير قادرة على الكلام بسبب الفرح بهذه المصادفة التي لا تحصل سوى في الروايات الرومانسية ، ولكن الفرح لم يدم فقـد خمنت إن هـذه الفتاة الجميلة لا بـد أنهـا تعـرفـه منـذ زمن ، وإنهـا قـد سحـرته . وتمنت لـو أنها كـانت في أي مكـان غيـر هـذا ، تقف كالبلهاء ، غيـر قادرة على الحـركة ، وهي تـراقب وجه مـريضتها يشـع بالمشـاعر ، واستـدارت ليقول لهـا بحرج «مـرحباً سـامنتا» وتقدم نحو السرير ليعانق انطونيـا . وأسرعت تلملم المنـاشف ، واتجهت إلى البـاب قـائلة «سـآخـذ الغسيـل» وخـرجت دون أن يلاحظها أحد منهما .

وفي الممر شعرت أنها ستتصادم مع الجميع ، وأقبلت الرئيسة بيركنز وقالت لها «أترغبي في القهوة يا ممرضة» ومضت معها لتتناولا القهوة . وكانتا على وشك الإنتهاء من قهوتهما عندما دخلت طالبة التمريض «آسفة يا رئيسة ولكن الممرضة مطلوبة في الغرفة رقم عشرة» .

وكان جيلس أوزل لا يزال هناك ، ولم تكد تدخل من الباب حتى قالت انطونيا «سام ، لم تقولي لي إنك تعرفي جيلس» .

ـ لقد التقيت به فقط . . . ولماذا أقول لك وأنا لا أعرف إنك تعرفي الدكتور ؟

ـ تبدين تعبة ، هل كنت تقومين بشيء هام ؟

ـ كنت أتناول القهوة .

ـ حسناً ، تستطيعي لوم جيلس ، فهو اقترح أن أطلبك .

وقال الدكتور :

ـ انطونيا ، يا أعز فتاة عندي ، لا تقولي كلمة أخرى . أعتقد أنني خارج اهتمام سامنتا .

ـ لا تكن سخيفاً ، لم أفكر بك .

والتفتت إلى انطونيا «لماذا أرسلتي بطلبي ؟»

ـ لأسألك فقط متى يستطيع جيلس أن يزورني ؟ أعني أنه مقرب مني جداً ، مثل العائلة الواحدة ، أنت تفهمي هذا ، لذا فهو يرغب في رؤيتي دائماً . .

ـ حسناً . . ليس قبل العاشرة صباحاً ، ومن الأفضل أن ترتاحي بين الواحدة والثانية ، كل يوم . وما عدا ذلك كل النهار . . كيف حال جفرو بوت ؟

بخير تماماً . . ترسل لك حبها ، أرادت أن تأتي معي ، ولكن يجب أن تنتظر ، مع أنني بحاجة إلى نصيحة امرأة حول منزلي .

ـ حقاً ؟

واستدارت تخرج ، ولكن قال بلهجة جعلتها تستدير لتنظر إليه :

ـ أعتقد أنك قد لا تكوني لطيفة بالقدر الذي تمنحيني به نصيحة ؟

ـ نصيحة ؟

ـ أجل . . حول المنزل هذه المرة . لا أعرف شيئاً عن الشراشف والأغطية وما إلى ذلك . كانت كلارا ستهتم بكل هذا ، هل لديك وقت فراغ ؟

وفتحت سامنتا فمها لتقول «لا» ولكن انطونيا كانت أسرع منها .

ـ بالطبع ستفعل . . أليس كذلك يا عزيزتي سام ؟ إنها لطيفة جداً وخدومة يا جيلس . . لو كنت بصحة لساعدتك أنا بسرور ، ولكن سامنتا ستفعل بدلاً مني .

www.elromancia.com

ـ لا أعتقد . . .

فقاطعها الدكتور قائلاً .

ـ أنت متواضعة جداً يا سامنتا ، وأنا متأكد أنك أفضل من يعرف بالضبط ماذا أريد أن أشتري . . متى أنت حرة ؟

وأسرعت انطونيا للقول ثانية . . .

ـ لديها يوم فراغ غداً ، أليس كذلك يا سام ؟ ولا أمانع أبداً أن ترافقك

ـ ولكن عندي عدة أشياء أرغب القيام بها .

ورد عليها بصوت ناعم «مثل ماذا ؟» . . . «حسناً . . .»

ـ لن تتأخري عن موعد أو ما شابه ؟

ـ لا . .

وشعرت بأسف من قولها ، كان يجب أن تقول «نعم» .

ـ إذا لقد اتفقنا ، هل الحادية عشرة وقت باكر عليك ؟

وقالت انطونيا «يجب أن تأتي لتزورني أولاً»

ـ طبعاً . . وسأعود هذا المساء أيضاً .

ـ إذا عانقني يا عزيزي جيلس ، واذهب ، لأن سامنتا ستعطيني غذائي الآن وقد أتضايق . .

وضحك لها وانحنى ليعانقها ثانية ، وودع سامنتا بلطف وذهب . ولما تبقى من اليوم كانت مجبرة على استماع للحديث

الذي لا ينتهي عنه من طونيا ، لقد عرفته طوال حياتها تقريباً ، إضافة إلى أنه صديق قديم مدى العمر لرولف ، وهذا أمر جيد لأن شقيقها كان قديم الطراز في آراءه ، ولا يسمح لها بالخروج مع أصدقاءها . لقد كانت سامنتا مندهشة وسعيدة معاً لمشاهدة جيلس ثانية ، لولا أنه صديقاً مقرباً من عائلة انطونيا ، ومقرباً أكثر ، منها .

في الصباح التالي شعرت بالسعادة لأن السماء كانت تمطر . وارتدت ملابسها العادية وربطت غطاء الرأس عند ذقنها ، على الأقل هكذا لن يظن الدكتور إنها قد تسعى وراء الغذاء .

وصعدت إلى جانبه ، بعد التحية ، بعد التحية ، وسارا بصمت ، وشعرت بعد عدة دقائق إنها مجبرة على الحديث ، فتحدثت عن انطونيا ، وعن الطقس ، واكتظاظ الشوارع ، وأخيراً سألته أين يقصدان ، فقال :

ـ أوه . . سنذهب إلى منزلي أولاً . . ولا بد أن رولف وصوفيا وصلا إلى هناك الآن .

ـ إذاً ما حاجتك بي ؟ . . فالبارونة تستطيع تقديم النصيحة لك . .

ـ تستطيع ذلك ، ولكنني طلبت حضورك أنت بالتحديد .

ووصلا إلى قرب المنزل وأوقف السيارة وقال بعد أن فتح باب المنزل :

ـ تفضلي بالدخول . .

كانت الردهة صغيرة ، ولكن غرفة الجلوس ضخمة وواسعة ، ومفرشة جيداً . وكان شقيق انطونيا وزوجته جالسان داخلها . وقالت صوفيا بمرح :

ـ أهلاً . . سأذهب وأعد القهوة الآن . ثم لنبحث أمر البياضات . لطف منك أن تأتي يوم عطلتك ، ولكن كلا هذين الرجلين لا يستطيع المساعدة . . . هل لي أن أخذ سامتا لأريها المطبخ يا جيلس ؟

كان المطبخ صغيراً ولكن من صممه نابغة . وسألتها صوفيا وهي تضع أكواباً زرقاء على الصينية «إنه جميل أليس كذلك ؟ أعتقد أن جيلس يتمتع بالتخطيط لمنزله ، مع أنه خسارة ، إلى أن يتزوج»

ـ هل سيعيش في انكلترا عندها ؟

ـ الله يعلم . . أمامه تدريب ضخم في جامعة هارلم . والعديد من الأعمال الإستشارية ، وله أصبع في كل الأعمال الطبية هناك ، ويأتي دوماً إلى هنا . وسيكون هنا منزل مصغر له . . هل تأتي بالبسكويت ؟

بعد انتهاء شرب القهوة ، صعدت الفتاتان إلى الطابق العلوي وتفحصتا غرفتي النوم الكبيرتين ، وأخرى أصغر بالقرب من سفرة السلم . وكانت كلها مفروشة بنفس الذوق والترتيب كما غرفة الجلوس . وقالت صوفيا :

ـ أليس من الغريب كيف تكون أذواق الأطباء والجراحين بهذه اللمسة الفنية ؟ ألاحظت هذا ؟ أكثرهم يعزف الكمان أو الرسم أو لهم ذوق بالديكور . . .

ـ وهل زوجك يرسم ؟

ـ إنه يعزف البيانو بمهارة . لم اكتشف ذلك إلا بعد زواجنا . . . دعينا نقرر الآن . . المناشف . . ما رأيك باللون البني لتناسب الجدران القرميدية ثم اللون الأبيض لتناسب الدهان ؟ ثم ربما شيء يناقضهما . . .

ـ الأخضر الليموني . .

ـ هذا جيد . . . والآن الشراشف . . اتحبي الملونة ؟ لا ؟ ولا أنا . . . بيضاء الـ أ . . والبطانيات . . زهر لهذه الغرفة ، وأزرق للثانية . . . وهذا يبقى أمامنا الغرفة الصغيرة . . .

ـ إن لها طراز «الشيندال» وقد يكون أنسب لها لون الزبدة الفاتح .

ـ هذا عظيم ، لنذهب ونخير جيلس .

ـ أليس له رأي بالمسألة ؟

وضحكت صوفيا «لا . . . إنه يجب شراء الأثاث ، ولكن في هذا ليس له رأي .

ـ ولكن لنفترض انه تزوج ، ولم تحب زوجته ما اخترناه ؟

ـ أظن انها ستحبه ، وإذا لم تفعل . . سيتخلص من كل

شيء ، ويتركها تشتري ما تريد .

ـ ولكن هذا إسراف زائد .

ـ بجنون .

وعرض أن يخرجوا إلى مكان ما لتناول الغداء ، وتقبلت صوفيا وزوجها الدعوة فوراً ، وشعرت صوفيا بالحرج ، فلا بد أنه شملها بالدعوة لدواعي الأدب، بينما قد يكون يتمنى أن لا تقبل ، فنهضت قائلة :

ـ أمامي بعض الأشياء اتسوقها ، يجب علي أن أفعل بكل بساطة .

فقال جيلس «هذا هراء . . . إلا إذا كنت لم تعودي تطيقي رفقتنا» .

ـ لا تكن سخيفاً ، أرجوك . أنت تحاول إزعاجي فقط . .

ـ ولكن يبدو أنني أزعجتك وإلا لقلت «نعم» وابتسم لها ، فابتسمت له بالموافقة ، وأطرق رأسها وقال :

ـ هناك مكان جميل في شارع «سلوان» اسمه برج الكارلتون . . أليس كذلك ؟ لنذهب إلى هناك .

وبعد تناولهم الطعام الشهي الفاخر ، وأثناء احتسائهم للقهوة مال رولف دويرن إليها عبر الطاولة وقال لها أن انطونيا ستذهب إلى موطنها قريباً ، وأردف متساءلاً «ستأتين معها إليس كذلك يا سامنتا ؟» .

الفصل الخامس

كانت سامنتا على وشك إكمال شرب قهوتها ، فوضعت الفنجان على مهل ، وهي تحدق بالبارون ، شعرت كأنها أرنب قد وقع تحت سحر عيني حية رقطاء ، وما انقذها من هذا الشعور عينا البارون الأسمر اللطيفة ، ولو أنها تفرض ما تريد ، ولم تشعر بالخوف كالأرنب ، بل بانفجار فجائي للإثارة في مكان ما من داخلها .

وتابع البارون «طونيا متعبة ، ووالدتي ليست قوية ، ولأكن صريحاً ، فإن أختي الصغيرة كونها أصغر أفراد العائلة ، مدللة ومفسودة التدليل . إنها تسكن مع أمي في مكان قريب منا ، وصوفيا لديها طفلنا لترعاه إضافة إلى أن طونيا تحبك ، وهذا يعني أنها ستفعل ما تريديه بطريقة طوعية ، مما لا يتعبكما كثيراً» .

وابتسم وهو ينهي كلامه ، واستطاعت سامنتا أن تفهم لماذا تبدو إمارات السعادة على صوفيا ، إنه رجل لطيف . . كجيلس تماماً . وعاد البارون يتمتم «إن الأمر لأسبوع أو اسبوعين» .

www.elromancia.com

ولم تتكلم سامنتا ، مع انها كانت تبتسم وتبدو متفائلة ، ونظرت إلى جيلس . . . كان ينظر إلى جدار بعيد عنهم بطريقة لا مبالية وكان الحوار لا يهمه أبداً . ولكنها كانت مخطئة ، فقد التفت وقال :

ـ قد تكون طونيا مدللة ، ولكنها فتاة عظيمة . . ليس هناك سبب على الأرض يمكن أن يجعلك تتركي عملك ومستقبلك ، حتى ولو لبضعة أسابيع ، ولكنني أعلم أننا نحن الثلاثة لن نتوقف عن شكرك وتقديرك لو فعلتي هذا .

وابتسم ، وأحست سامنتا أنه تغلب بسحره على البارون ، ثم تابع .

ـ دكتور دوغان يعتقد أنها فكرة رائعة ، وإذا كنت قلقة حول غيابك لبضعة أسابيع فهو يستطيع تدبير الأمر.

ما هذه المؤامرة المحبوكة المدبرة الصغيرة ؟ الدعوة لاختيار البياضات للمنزل ، والتي تستطيع صوفيا بكل جداره أن تقوم بها لوحدها . والغداء الرائع ، والحديث الذي شملها طوال تناول الوجبة ، كي تشعر بنفسها أنها من ضمن الدائرة . . جعلوا الأمر أمامها صعب لترفض ، وفوق هذا الألم الفظيع بمعرفة أن جيلس يحب انطونيا ، وقالت بعد طول اناة «هل لي ن أفكر بالأمر ؟» .

ورد جيلس فوراً «لا . . هناك الكثير من الترتيبات وما إليها ونريد أن نعرف الآن ، وإذا كنت ستسليني ما شأني بالأمر ، سأقول لك إن هذا ليس من شأني ، ولكن صوفيا أرق من أن

تشرح لك وورلف لن يفعل لأنها لن تسمح له . لذا فسأقوم بالأمر بنفسي . . هذان الإثنان في طريقهما إلى اسكتلندا لزيارة بعض الأصدقاء لعدة أيام ، وإذا تركتيهما ينتظران ردك فلن يسافرا ، وأعلم أنهما يريدان السفر بشكل ملح .

ـ ولكنني لا أرى السبب . . .

ولم يسمح لها بإكمال قولها ، فتابع .

ـ يجب أن يتحدثوا مع رئيستك رسمياً . . أوافق ، ولكن الدكتور دوغان لا يستطيع عمل شيء قبل موافقتك . .

قال كل كلامه دون اكتراث . كل شيء مخطط له بشكل كامل . سيكون من دواعي سرورها أن تسافر إلى هولندا ، رغماً من أنها لن ترى جيلس كثيراً إلا عندما يأتي لزيارة انطونيا ، وستقابله بالطبع ، وقد يلقى عليها تحية دون اكتراث ، وهو يعلم بأنه بطريقته قد غير كرهها له إلى إعجاب . . لا بل الكلمة هي الحب ، ولكن هذا سر . والآن وبعد أن اقتنع من تغلبه عليها ، يقوم باستغلالها ، وتنهدت وقالت بصوت جاف :

ـ شكراً لك لتوضيحك الأمور هكذا . . سأقرر الآن وأقول نعم . .

وشعرت بالفرح بعد إن قالت هذا عندما شاهدت السعادة تغمر وجه صوفيا والبارون . الذي هز رأسه وقال :

ـ سنترك الأمر إذاً لجيلس ، ويعلمك بموعد السفر .

والتفت إلى صوفيا التي ابتسمت وقالت «رولف عزيزي . . . .»

ـ أوه لقد كدت انسى . . . راتبك . . هل تتركي الأمر لي ؟

وابتسمت سامنتا وشكرته بخجل ، وقالت لصوفيا :

ـ سأنتظر رؤيتكما ثانية ورؤية ابنكما الصغير بفارغ الصبر .

في المستشفى ذهب الرجلان لرؤيته الرئيسة ، وأخذت صوفيا وسامنتا تسيران جيئة وذهاباً في الممر ؛ وقالت صوفيا :

ـ لا بد أنك تتسائلين لماذا نود الذهاب إلى اسكتلندا . لقد التقينا هناك وتزوجنا هناك . . ربما تجدينا مجنونان عاطفياً . .

ـ لا أبداً . . يبدو الأمر لي رائعاً . . لم أذهب أبداً إلى اسكتلندا وأمسكت صوفيا بذراعها وقالت بحرارة .

ـ إذاً يجب أن تذهبي ، إنه عالم آخر . . لا استطيع شرح الأمر ، ولكن ستعرفي إذا ذهبت إلى هناك . . . انظر لقد عادا . . . ويبدوان مسرورين .

وقال رولف «لقد سوى كل شيء ، لقد حصلنا لك على إجازة عشرة أيام يا سامنتا ، وسأترك لجيلس إكمال التفاصيل . هل هذا جيد ؟

ـ أجل . . شكراً لكما ، أتمنى لكما رحلة سعيدة . . . أنتما ذاهبان لرؤية انطونيا الآن اليس كذلك ؟

وصافحتهما مودعة والتفتت الى جيلس ومدت يدها له

تصافحه .

ـ وداعاً يا جيلس ، ستدعني أعلم بما سترتبه فيما بعد ، كما أتوقع وابتسمت له ابتسامة اجتماعية تحولت إلى نظرة حيرى لأنه لم يترك يدها . وسألها «شاي ؟ أم عشاء هذا المساء ؟» .

ـ آسفة لدي عمل هذا المساء ويجب أن أعود إلى الشقة ، لدي عمل أنهيه وكان الإثنان قد سارا نحو المستشفى ، وقال جيلس .

ـ المراوغة والتخلص ثانية . . ولست أعرف لماذا ، كنت أظن أننا نتمتع برفقة بعضنا .

ـ ولكن لدي حياتي الخاصة ، ولم يكن لك حاجة بأن تزعج نفسك بالتحدث معي ودعوتي إلى الغداء ، ودعوتي لزيارة منزلك ، كل هذا لتحضرتي لأن أوافق على الذهاب مع طونيا .

ـ مهلك مهلك ، ما هذا الإنفجار !

وامسكها بذراعها واخرجها الى الطريق خارج المستشفى واوقف تاكسي ، ووضعها فيه ، ثم أعطى السائق بعض المال والعنوان ، وانحنى من النافذة وقال :

ـ سامنتا ايتها الفاتنة . . لست جميلة ، ولا حتى حلوة . . بل أنت فاتنة .

وسحب رأسه وسار التاكسي بها وهي لا تزال تفكر بالرد عليه . ووصلت إلى منزلها ودخلت شقتها وهي لا تزال تفكر ، لا

بد انه شعر بالراحة لأنها رفضت دعوته للعشاء ، فسمضي الوقت في زيارة انطونيا . . وبعد انهائها عملها المنزلي قالت لنفسها «كتاب وزجاجة ماء ساخن ، ولن يزعجني أحد» وأدارت الراديو وبدت تحضر للنوم . وسمعت صوت السيد كوكبورن يصرخ من خارج الباب وردت عليه «أدخل . . . أعتقد انك تريد الإيجار»

ـ في الواقع لا . . ما أريده هو عشائي والرفقة لأتناوله . . وبما أنني لا أقبل كلمة «لا» عدت لأرى إذا كنت قد غيرت رأيك .

والتفتت لترى جيلس واقفاً أمامها ، يتفرس فيها من رأسها حتى قدميها وتابع كلامه «يعجبني شعرك . . نظيم وناعم وطويل» .

وفتحت فمها وأغلقته عدة مرات . . ما نوع الرد الذي ستقوله ؟ فقال لها :

ـ اغلقي فمك يا فتاتي العزيزة ، وادخلي وارتدي ثيابك وسنذهب إلى مكان هادىء .

ـ لا أريد أن اخرج للعشاء . ولا أريد أن أذهب إلى مكان هادىء .

ـ هناك مكان جميل . . .

ـ لا . . لن أذهب . شكراً لك .

ـ حسناً ، في هذه الحالة ، سأمضي الأمسية هنا .

ـ أوه . . لا . . لن تفعل . . . أنت سخيف . . لديك العديد من الأصدقاء تتعشى معهم .

ـ ولكنني أريد أن أتعشى معك يا عزيزتي سام .

ـ لا . . ليس أنا . .

ـ إذا سأتعشى هنا . . لقد قلتي لي أنك لم تعود تكرهيني ، وها أنت لا تحسني استقبالي ، واتساءل إذا كنت تستطيعي النظر في وجهي .

ـ أنت . . تجلس هنا و . . تضيع وقتك . . تستطيع زيارة طونيا . . .

ـ هل انهيت كلامك ؟ اذهبي وارتدي ملابسك يا فتاة . يجب علي أن أعود إلى هولندا في الصباح . وعلي أن أقول لك الكثير قبل أن أذهب .

ـ تستطيع قول ما تريد الآن .

ـ هناك الكثير . . ومن المستحيل قولها الآن .

ـ سأرتدي ملابسي ، لن أتأخر خلال تناول العشاء أخذ يخبرها عن رحلتها مع انطونيا .

ـ إذا كان لديك ثياب العمل ، فارتديها خلال الرحلة ، فسيساعدك هذا .

ـ جيد جداً . . وكيف أحصل على التذاكر ؟

ـ ستصل إليك مع بعض المال للمصاريف .

كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل عندما أوقف السيارة خارج منزلها .

أحب أن أدعوك لتناول القهوة ، ولكن رفيقاتي الآن نائمات ، والسيد كولبورن لا يحب الزيارات بعد الحادية عشر .

ولم يرد الدكتور عليها ، وهبط من السيارة وفتح لها الباب . وفي منتصف السلم ، وضع ذراعه تحت ذراعها ، ووقف ليرفع يده بالتحية لصاحب المنزل ، الذي ما زال حتى تلك الساعة صاحياً ، ثم أدار وجهها نحوه وعانقها مودعاً ، وتمنت له سامنتا ليلة سعيدة ، وأسرعت لما تبقى من السلم بأقصى سرعة ، ودخلت الشقة لتجد زميلاتها لا زلن صاحيات وصاحتا معاً «اين كنتِ ؟» ووقفتا لتنظرا إليها «وعيناك حالمتان أيضاً ! انه الدكتور شاتيه . . أليس كذلك ؟ دكتور رولز رويس . . هناك «ديك قديم» اخبرنا بهذا . .»

وعلمت سامنتا انها لو كانت ترغب في النوم تلك الليلة لوجب عليها أن ترضي فضول زميلاتها فقالت «لقد خرجت لتناول الغداء . . . ولأساعد الدكتور اوزل في اختيار البياضات لمنزله ، عنده منزل في شارع هارود . وكان هناك شقيق انطونيا فان دوبيرن وزوجته . ثم عدت الى هنا . . وجاء يطلب مني ان اتعشى معه» .

وضحكت «بام» قائلة «في المطعم المجاور في اخر الطريق ؟»

ـ لا لقد ذهبنا إلى مطعم اسمه انيغوجونز .

واخذت رفيقاتها تصفرن من التعجب وقالت بام :

ـ انه ليس فقط فاتناً ويملك رولز ولكنه يأكل في احسن المطاعم . لا بد ان منزله من النوع الذي كلفه نصف مليون جنيه . .

ـ لا أظن هذا ، فهو من ثلاثة غرف نوم و . . .

ـ أوه . . . لقد دارت في كل المنزل . . اليس كذلك بابطة ؟ هل طلبك ؟

ـ . . ولن يفعل . . إنه يحب انطونيا . . والآن سأذهب إلى الفراش . . واستيقظت في الصباح التالي باكراً ، وحضرت الشاي والفطار للجميع ، وبعد الفطار عرضت أن تذهب إلى المغسلة لغسل الثياب الأسبوعي رغم انه لم يكن دورها . وغادر الجميع ما عدا «بام» .

من سوء الحظ ، أن الدكتور لم يختار أن يزورها إلا بعد نصف ساعة من مغادرتها المنزل . . ودق باب الشقة ، وردت عليه بام . . ولم يكن من ذلك النوع الذي تظهر عليه مشاعره .

ـ يجب علي السفر إلى هولندا بعد نصف ساعة ، ويجب أن أتحدث معها قبل ذهابي .

وقالت بام ببطء «حسناً . . لا أعتقد انها قد تمانع بإخبارك . . لقد ذهبت مع جاك خارج لندن . .» .

ـ جاك . . من هو ؟

ـ إنه خطيبها وذهبت معه لرؤية البلد التي سيعيشان فيها .

وهكذا تمادت بام كثيراً ، ونظرت إليه ببراءة وهي تتكلم .

ـ هكذا إذاً ؟ . . إذا علي أن أذهب .

واستدار وذهب ، وأغلقت الباب وهي تقول لنفسها .

ـ لا فارق عندي . . لن أدع قلبها يتحكطم على يد ترى مثله لا يهتم بها بالمرة . . سيعطيه هذا شيئاً يفكر به !

عندما عادت سامنتا من المغسل ، كانت بام قد غادرت ، ووجدت مذكرة قصيرة تقول أن الدكتور أوزل قد زارها ولم يترك رسالة . وأخذت تفكر به ، لقد ذهب الآن . ولم يكن هناك شيء يمنعه من ترك رسالة . وأمضت بعد الظهر وهي تحضر ثيابها . وأعصابها تعبة وقلقة . ولم تحصل على أية راحة عندما عادت زميلاتها من العمل مساء ، فقد أكدت لها الزيارة وقلن أن اسئلة الدكتور كانت عادية ولم تذكرن أي شيء عن جاك المزعوم ، وهكذا صرفت سامنتا الأمر من تفكيرها ، واستغرقها ذلك بقية الأمسية .

ومرّ اسبوع ، وتبعه الثاني ، وتحسنت صحة انطونيا بشكل ملحوظ ، استقرت حرارتها ، وأعلن الدكتور دوغان انها قد اصبحت على ما يرام وتستطيع العودة إلى موطنها . وقال مخاطباً سامنتا :

ـ ربما لن يكون عليك أن تمكثي معها هناك كثيراً ، ولكن لو عاودت مريضتنا الحمى ، سيتوجب عليك أن تبقي حسب أوامر الطبيب هناك وأجابت سامنتا باقتناع «أجل يا سيدي» ولكن الرئيسة بيركنز اسرعت للقول «يجب عليها ان تبقى ، فهذا ما اتفق عليه» . ثم اعطيت فرصة يومين لزيارة جديها على أن تكون جاهزة للسفر في اليوم الثالث . وقالت الرئيسة بيركنز «كوني هنا عند العاشرة صباحاً ، ستغادر سيارة الإسعاف عند العاشرة والربع خذي معك الملاحظات والمال ، والتذاكر قبل ان تذهبي . .»

صباح يوم السفر ، حضرت سامنتا باكراً ، وكان هذا امر جيد ، لأن انطونيا كانت متوترة الأعصاب بسبب قرب سفرها ، ورفضت الفطا ، وأخذت تدق الجرس دون داعي ، وعندما شاهدت سامنتا ، بمظهرها الهادىء الجميل ، وقبعة الممرضات ، انفجرت بالبكاء ، وخلعت سامنتا معطفها ، ورفعت أكمامها وبدأت تغسل وجه مريضتها ، وقالت لها «ضعي بعض أحمر الشفاه ، وقليل من الكحل على عينيك بينما أحضر لك انا الفطار» .

ـ لا أريد الفطار .

ـ بل ستريدينه ، شاي وبعض التوست . . .

وذهبت واحضرت الفطار وتناولته انطونيا ثم البستها ثيابها وحضرتها للرحلة ، في الوقت المحدد الذي اقبلت فيه الرئيسة بيركنز لتعلن أن سيارة الإسعاف جاهزة .

ورفضت انطونيا أن تجلس في الكرسي المتحرك ، فقالت لها سامنتا بهدوء «إما الكرسي وإما البقاء هنا ، لقد اصبحت سخيفة يا طونيا . الجميع يحاول مساعدتك ، وانت حتى الآن تصعبين الأمور على الجميع» .

ونظرت إليها مريضتها بذهول وقالت :

ـ أوه يا سام . . . أنا لست لطيفة أليس كذلك ؟ سأفعل أي شيء تقوليه فأنا مشتاقة للعودة إلى بلدة أكثر من أي شيء آخر .

ـ هذا جيد . .

وضغطت زر المصعد ، لقد بدأت الرحلة . وأملت أن تكون رحلة جيدة . .

الفصل السادس

أملها برحلة جيدة تحقق جزئياً ، فالرحلة إلى المطار كانت سهلة ، ولم تجد صعوبة في نقل أشياءهما إلى الطائرة . وبأقل قدر من الأجراءات الرسمية ، وأمام نظرات الفضول من المحيطين بهم ، وصلتا إلى الطائرة واستقرتا في المؤخرة حيث حجز لهما البارون ڤان روين مقعدين لهما إضافة إلى المقعدين المحيطين بهما . وهكذا استلقت انطونيا على مقعد ومدت رجليها على المقعد المواجه ولفت لها سامنتا رجليها ببطانية . ولكن بعد ذلك ، أخذت الرحلة تسوء ، فبعد عدة دقائق شعرت انطوينا بالغثيان ، وفعلت سامنتا ما باستطاعتها لإراحتها . ووصلت الطائرة بهما فوق ساحل هولندا في الوقت الذي اقنعتها بتناول الشاي ، ثم ربطت لها الحزام وربطت حزامها . . ولم يكن لديها الوقت لتشاهد منظر الساحل ، ولا للتمتع بالرحلة التي تاقت اليها منذ مدة . ووجدت ان الإجراءات السهلة نفسها التي واجهتها في انكلترا كانت تنتظرهما ، إضافة إلى وجود رولف ڤان دوين نفسه بالإنتظار .

www.elromancia.com

وانتظرت إلى أن انتهت مريضتها من معانقة شقيقها ، وحيته بدورها ، ثم ساعدتها للإنتقال إلى سيارته . وكانت رحلتهما قصيرة ، والوقت لا يزال باكراً بعد الظهر . وسأل شقيقها «هل تناولت شيئاً ؟»

ـ بعض الشاي . . وفطار خفيف . .

ولاحظت أن البارون تنظران اليها في المرآة الأمامية ، فابتسمت له ورد عليها الإبتسام ، كانت تجلس ورأس انطونيا على كتفها ، وهي تحضنها بذراعيها ، وعيناها مغمضتين ، ولكن عندما قالت سامنتا : «ربما تكون نائمة الآن» ردت انطونيا «لا . . لست نائمة ، أنا عطشانة ، رولف أرجوك توقف لأشرب شيئاً» .

ـ سنتوقف في هارلم . . ونتناول الشاي مع جيلس ، ولكن لفترة قصيرة فقط ، ثم إلى المنزل والفراش .

وحدقت سامنتا من نافذة السيارة أثناء اقترابهم من ضواحي هارلم . ليس هناك من هو مثل جيلس ، ولن يكون ، وبدت لها المدينة جميلة ، بڤيلاتها الصغيرة ومن حولها الحدائق ، ولكنها كانت مدينة قديمة . واستدارت بهما السيارة من الوسط التجاري يساراً فوق قناة، ثم استدارت ثانية إلى شارع ضيق ، وفي منتصفه تقريباً أدار البارون السيارة لتمر من تحت بوابة على شكل قوس ، إلى داخل باحة ضيقة صغيرة ، وتوقف أمام باب واسع على شكل قنطرة ، وقال لهما : «ابقيا هنا» وخرج ليدق المقبض

الكبير على البوابة ، ثم ، ودون ان تنظر الرد ، فتح الباب ، ودخل ، وعاد للظهور على الفور تقريباً ومعه جيلس ، الذي مد رأسه من باب السيارة المفتوح وحياهما وحمل انطونيا بين ذراعيه وحملها إلى الداخل . ولحقت به سامنتا مع البارون ، واختفى جيلس وراء باب آخر عند نهاية ممر قصير ومعتم ، وقال لها البارون شارحاً :

ـ هذا مدخل خلفي . . البوابة الأمامية من شارع آخر تطل على القناة ، ولكن الشارع هناك ضيق ولا يمكن أن نوقف السيارة فيه .

الغرفة التي تبعا جيلس إليها كانت صغيرة ومعتمة أيضاً ، ولكن كان فيها مدفأة تشتغل فيها النار ومقاعد مريحة حولها ، موضوعة فوق سجادة سميكة ، ومكتبة رائعة على الجدار تنتهي إلى نافذة ، ثم عدة نوافذ كلها مغطاة بستائر زهرية وزرقاء وخضراء الألوان تشابه تلك الألوان التي للسجادة . ووضع جيلس انطونيا على صوفا كبيرة في مواجهة النار ، والتفت يخاطب رولف «أعتقد انكم ترغبون بالشاي ؟ أليست هذه سبب الزيارة ؟ أم السبب حبكم لي ؟»

والتفت إلى انطونيا ضاحكاً فأجابت «الإثنين معاً» لقد شعرت بالتعب وأنا في الطائرة، أليس كذلك يا سامنتا؟»

ونظر الرجلان إلى سامنتا ، لا زالت انيقة ومرتبة ، رغم بعض الشحوب وسألها جيلس «وكيف حالك يا سامنتا ؟» وابتسم

وترك لنظراته البطيئة الساخرة أن تتجول عليها وتتوقف في النهاية على وجهها ، وقال بنعومة «فاتنة» وقال البارون بسرعة ونعومة أيضاً «أجل . . أليست كذلك ؟ تعجبني قبعة الممرضات هذه ، صونيا ستحسدها عليها ، أنا واثق !» .

وفتح الباب وقال جيلس على الفور «لقد وصل الشاي ، وشخص تعرفيه يا سامنتا» ودخلت جفرو بوت ، مرتدية ثوباً أسود ، ووجهها البشع اللطيف يبتسم . ووضعت الصينية على الطاولة قرب الصوفا ، وتحدثت إليهم عموماً ثم وجهت كلامها إلى سامنتا . «رائعة ، وعلى ما يرام أيضاً ، ممرضة فيلدنغ .» واستنفذت بهذا ما تعرفه من الإنكليزية ، وبدأت تتحدث بالهولندية . وترجم الدكتور ما كانت تقوله «تقول كلارا انها سعيدة لرؤيتك ، ويداها احسن حالاً وهي تعمل كل شيء تقريباً بهما . وتجدك جميلة جداً بردائك وقبعتك» .

ـ انت لطيفة جداً . . وسعيدة لرؤيتك ثانية .

ولم يبقوا هناك سوى لوقت قصير ، ولم يقل لها جيلس شيئاً ، بل ملاحظات عادية حول رحلتها ، وبعض الكلمات حول المستشفى ، وردت عليه ببرود ، خائفة من أن يلاحظ حقيقة مشاعرها . ثم حمل البارون شقيقته نحو السيارة ، تاركاً سامنتا مع جيلس ، ووقف الدكتور ووقفت معه تأدباً وقال بحبور «يجب أن تزوريني ثانية ، كلارا ستحب رؤيتك مجدداً» .

ـ يسعدني هذا ، ولكن لا اتوقع ان ابقى في هولندا اكثر من اسبوع .

ـ في هذه الحالة يجب أن نرتب شيئاً ما . .

ـ أجل . . ربما . . أتوقع ان تأتي لزيارة انطونيا ؟

ـ انطوينا ؟ دون شك . . أتصور انها لن تستعيد عافيتها كاملة قبل اسبوع واقترب منها ، ومد يده ورفع ذقنها ونظر إلى وجهها :

ـ أعتقد أن عليك أن تقرري البقاء مدة أطول . مع أنك طبعاً تودين العودة بأسرع وقت ، ألا تقولون في انكلترا إن «الغياب يزيد من الحب» ؟ .

وارتبكت سامنتا ، هل يتحدث عن المستشفى ام عن منزلها ، وأجابت :

ـ أجل . . أوه أجل .

ولم يجاوبها ، بل أخذها بين ذراعيه وعانقها بلطف ، ثم ابتسم وقال «هذه القبعة الجميلة» .

وضمت شفتاها حتى لا يظهر الإرتجاف عليهما ، وتوجهت نحو الباب ، وتمنت للدكتور يوماً سيعيداً ، والبارون وطونيا ينظران إليها باستغراب ، وهو لا يزال يمسك بيدها بقوة وهما يتحدثان عن امكانية زيارته . ولم يترك يدها إلا بعد ان انتهى من الحديث ، وفتح لها باب السيارة .

وفي «دوكوم» كان الإستقبال لهم حاراً . وكانت البارونة الحسنة تعيش في منزل عند طرف البلدة القديمة ، على بعد قليل من منزل ابنها ، وتوقف البارون في شارع ضيق عند الباب ، وقال لسامنتا «هذا هو المدخل الخلفي ، ولكنه أقرب إلى المنزل» . وحمل شقيقته النصف نائمة ، وتبعته سامنتا ، عبر عدة ممرات ، انفتحت في النهاية على ردهة أمامية ، ودون أن يخفف من سيره دفع باباً ودخل إلى غرفة واسعة تضيئها الأنوار المنبعثة عن قناديل كهربائية معلقة في الجدران ، ومفروشة بشكل رائع . ووقفت صوفيا والسيدة الحسنة والدة انطونيا .

ووضع البارون شقيقته على الصوفا ، وحيا زوجته وأمه ، ثم قدمها لسامنتا . وترك السيدتان لتتعرفا على بعض ، ثم قال «إلى الفراش الآن يا طونيا» وحملها إلى الطابق العلوي ، إلى غرفة رائعة ، تبدو وكأنها تحتوي على كل وسائل الراحة التي تتمناها أي فتاة .

وقال البارون لسامنتا «اهتمي بها الآن . غرفتك التالية من هنا ، والحمام عند نهاية الممر . وستريك صوفيا المكان . واعذري والدتي لأنها لا تستطيع ، فليست على ما يرام» .

وبعد أن أصبحت لوحدها مع مريضتها خلعت معطفها ورفعت أكمامها وبدأت تساعد انطونيا على خلع ملابسها وادخلتها الحمام ثم ادخلتها الفراش بأسرع وقت ممكن . وبعد نصف ساعة كانت طونيا مستلقية على الوسائد وهي مرتاحة ،

بالرغم من ارتفاع حرارتها قليلاً . ثم ذهبت إلى غرفتها حيث وجدت فتاة تفتح لها الحقيبة وتخرج الثياب ، وابتسمت لها الفتاة ، وتابعت عملها . وعلقت سامنتا معطفها ورتبت نفسها قليلاً ثم عادت إلى انطونيا . قائلة «هل تتناولي العشاء الآن ؟ شيء خفيف لأنك تعبة ، أليس كذلك ؟»

واتجهت نحو الباب ، الذي فتح ودخلت صوفيا ، وابتسمت لهما معاً . وسألتها عن ممرضتها ثم طلبت منها ان ترافقها الى الطابق الأرضي .

ـ رولف سيأتي إلى هنا الآن ، ليودع طونيا ، ثم نذهب الى منزلنا ، وتأمل حماتي ان تتناولي العشاء معها فيما بعد بعد أن تطعمي طونيا» وتوجهتا الى تحت ثم الى المطبخ لتجدان صينية العشاء جاهزة ، وقالت لها صوفيا «ستجدي انك لن تضطري لعمل شيء ، فلدينا حفنة من الخدم المخلصين ، لا عليك سوى الإشارة ، جيلس يعيش هكذا ايضاً ، هل أعجبك منزله ؟»

ـ لم أشاهد الكثير منه ولكنه جميل ومريح ، وقديم . .

ـ اجل انه قديم ولكنه سعيد به ، انه عائد لعائلته منذ زمن ، ويكره أن يبتعد عنه كثيراً . . وذلك المنزل في لندن ، انه رائع ايضاً ، ولكني أشك في انه سيستعمله كثيراً . وعندما يتزوج ستصبح الأمور مختلفة طبعاً .

ومر اسبوع ، ولم تلاحظ سامنتا انه مر . ولم يكن هناك

الكثير من العناية بانطوينا ، مع انها كانت بحاجة الى الرفقة والتشجيع ، لأنها وصلت مرحلة النقاهة . بعد أول يومين لها في الفراش ، أخذت تتجول مع سامنتا في المنزل ، وتتحدث دون انقطاع إلى أمها ، وتلعب مع كلبها الصغير . واقترحت سامنتا على طبيب العائلة ان تخرجها في نزهة بالسيارة كل يوم .

وذهبتا لزيارة صوفيا ، وبعد أن وضعت انطونيا في مقعد مريح قرب النار تجولتا في منزل البارون ، وتمتعتا بالحديث حول الملابس والأطفال ، وتفحصتا الكنوز المحيطة بهما ، قبل أن تنضما ثانية لأنطونيا لتناول الشاي حول النار .

ومضى أسبوع لم تسمع به شيئاً عن جيلس إلى أن ذكرت انطونيا انه كان يتصل كل يوم بها وقالت مفسرة لسامنتا «كان يتصل بعد الظهر اثناء فترة وجودك في الخارج لتمشي»

- كم هذا جميل . . دكتور اوزل سيجدك قد تغيرت كثيراً عندما يأتي .

- جيلس ؟ انه دائماً مشغول ، لديه تجارب كثيرة ، اضافة الى عمل المستشفى ولكنني اعتقد انه سيتمكن من المجيء .

ولم تتابع سامنتا الحديث في هذا الموضوع ، فلا فائدة من أن تزيد الأمر سوءاً بالنسبة لها ، فلو انها تظاهرت ان جيلس لا يهمها بشيء ربما انقلب الأمر ليصبح حقيقة ، إضافة الى انها تنتظر بين يوم ويوم ان يقال لها ان خدماتها لم تعد مطلوبة . وانهت كتابة التقرير اليومي عن حالة انطونيا يراه الدكتور دوويفتر

عندما يأتي لفحص مريضته . وغيرت ملابسها ، وخرجت من المنزل ، ليس هناك شيء أحسن من التمشي لإراحة البال .

ولكن فكرها لم يكن صافياً عندما وصل جيلس في اليوم التالي ، ووصلت انطونيا وهي ترتدي ثوباً جديداً ، وبقيت سامنتا في الغرفة ترتب الفراش وتضع الأدوية في مكان آمن . ثم نزلت الى الطابق الأرضي متأخرة قليلاً ، لتجده في غرفة الجلوس يشارك انطونيا شرب القهوة ، ووقف عندما دخلت فبادرته .

- أوه . . صباح الخير . . أنا سعيدة انك هنا لتسلية طونيا ، لأنني أرغب في الخروج قليلاً . .

- إذاً ، يجب أن لا نؤخرك .

وتمنت فجأة أن تركض إليه وترمي نفسها بين ذراعيه وتقول له انها انما تريد ان تبقى معه ، وربما الى الأبد .

وأسرعت في الخروج من المنزل بأقصى سرعة لتبتعد عن جيلس الذي بدا انه تواق للتخلص منها . وتصلبت لتمنع دموعها ، ثم ذهبت في طريقها . وسارت مسافة طويلة وكانت الطريق ضيقة والمناظر على كلا الجانبين . ولم تلاحظ تجمع الغيوم في السماء . ولم تلفت اول قطرة مطر انتباهها ، وعندما توقفت لتنظر خلفها ، دهشت لمنظر الغيوم التي تهدد بالمطر . لم يكن هناك منزله قريب ، يضع مزارع منتشرة على بعد ، فقط . واسرعت السير قليلاً ، ربما شجرة أو حافة عالية من

الممكن ان تعطيها الملجأ المطلوب ، ولم تجد أي شيء . ولم يمض وقت حتى أصبحت مبللة تماماً ، وأخذ المطر ينهمر بقوة . وأخذ الماء البارد يتسلل إلى رقبتها من الخلف ويهبط إلى الداخل ليبلل جسدها ، ثم أخذت قدماها بالتبلل أيضاً . ونظرت الى لوحة الأسماء على الطريق ، ولم تكن تعرف اسم البلدة التي مرت بها ، والطريق أمامها ليس فيه أية إشارة ، وترددت للحظة واستدارت في طريق جانبي ، لا بد انها ستصل الى البلدة التي تبغيها . ولولا أن المطر قد حجب الرؤية عنها لاستطاعت ان ترى البلدة امامها .

القرية التي وصلت اليها بعد عشر دقائق لم تكن القرية التي توقعتها . وبالرغم من انها وجدت ملجأ لها من المطر ، إلا أن هذا لم يكن يفيد لأنها كانت غارقة بالمياه حتى جسمها . وتابعت سيرها دون أن تتلاقى مع أحد . وسارت ميلاً اخر لتجد إشارة على الطريق تظهر لها انها تسير باتجاه بلدة اسمها دانتو مود ، ولم يعني لها ارسم شيئاً ، لأنها لا تعرف المكان . وأصبحت قلقة لأنها عرفت انها ضلت طريقها . واستدارت عند المنعطف الذي يلي ، وربما لا يقودها إلى أي مكان ، ولكن بعد نصف ميل ، بدأ الشك يعصف بها ، لأن الأفق أمامها لم يظهر فيه أي دليل على السكن . وزاد يأسها لرؤية الأفق الخالي أمامها ، وما زاده أكثر علمها إن جيلس الآن لا بد وقد عاد إلى منزله وانطونيا معه .

ولكنه لم يفعل . . وانسابت الرولز من ورائها دون أن

تشعر . ووقفت سامنتا ، وشعرها ملتصق برأسها ، ووجهها يقطر بالماء ، تحدث به وفمها مفتوح ، وفتح نافذة السيارة وقال لها «ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم ؟»

ـ خرجت أتمشى . . أردت استكشاف المكان .

ـ أدخلي . . سأعود بك . .

تاقت قبل أي شيء أن تهرب من تحت المطر ، وفتح لها الباب ، ولكنها تراجعت ، حرارة مشاعرها انقلبت الى عناد .

ـ أنا مبتلة كثيراً ، قد افسد لك السيارة . . إضافة إلى انك تبدو غاضباً بشكل مخيف . ولست مهتمة بالذهاب معك . .

وانفرج فمه وضحك .

ـ لا بأس إن كنتي مبتلة . . ولن أعفك . . أدخلي . . إلا إذا كنت خائفة ؟

وارتفع ذقنها بكبرياء وقالت بصوت ساخط «بالطبع لست خائفة» ولم تكد تجلس إلى جانبه حتى انغلق بسرعة كبيرة . ولم يكن هناك جدوى من الحديث ، وجلست ، وهي تقطر الماء لتكون بحيرات صغيرة على جلد مقعدها . وأخذت ترتجف . . وقال لها جيلس دون أن يلتفت إليها .

ـ لا بد أنك مت من البرد ، وهذا سيفيدك .

من السخافة أن تتكدر ، ولكن الدمع انفجر من عينيها ليسيل عن وجنتيها ممتزجاً مع الماء الذي لا يزال يقطر من شعرها ،

وجاءها صوته حاراً :

ـ لماذا تبكي ؟ . .

وابتلعت دموعها ، ووجدت صوتها لتقول :

ـ أنا لا أبكي ، وجهي مبلل من المطر . . . لقد اعتقدت انك عدت إلى منزلك . . لقد قالت البارونة . . .

ـ لقد اتيت لتوي من هناك . . قالت البارونة انها قلقة لأنك لم تعودي . من حسن حظك ان الأرض الريفية مفتوحة على كل الجهات حتى استطعت رؤيتك على بعد أميال .

وهزت رأسها بالموافقة ، وشكرته على عودته للتفتيش عنها . وعندما وصلا المنزل أمرها أن تصعد وتغير ملابسها وتأخذ حماماً ساخنا ، ودون أن ينتظر ردها أدار ظهره ودخل غرفة الجلوس .

بعد نصف ساعة عادت سامنتا الى الطابق الأرضي لتجده قد ذهب ، وبعد أن سألتها البارونة عن حالها بلطف ابلغتها انه ذهب في عمل مع رولف وانه عندما ينتهي سيأتي لإصطحاب انطونيا الى هارلم .

ـ يا له من مسكين . . يذرع الطريق ذهاباً وإياباً ولكن الفتاة العزيزة تصر على الذهاب معه ، وقد وعدها . .

وعدها بماذا ؟ وجلست وجلست سامنتا عند الطاولة ، بناء لطلب البارونة لتلعب الورق معها . وأخذت تفكر وهي تلعب .

ثم تمتمت البارونة .

ـ هل لنا أن نتناول الشاي ؟ أخشى ان عليك ان ترافقيني لوحدك عند العشاء ، الآن طونيا ستتأخر . لو لم أكن واثقة من أن جيلس سيعتني لما تركتها تذهب .

وتقبلت سامنتا كوب الشاي ، واحتست منه القليل ، إلا أن هذا لم يريحها ، وأخذت قطعة بسكويت تقضمها ، فهذا اليوم كان يوماً رهيباً بالنسبة لها .

الفصل السابع

ولم تصل انطونيا الى المنزل قبل منتصف الليل ، مع جيلس ، وبدا لسامنتا التي انتظرتها ، ان ايام بقائها قد انتهت ، فهي بصحة جيدة وجذابة ، وتثاءبت انطونيا وهما يدخلان غرفة الجلوس قائلة انها مرهقة :

ـ ولكن ما كان يجب عليك انتظاري يا عزيزتي سام . فأنا اشعر انني رائعة . حبيبي جيلس كيف لي ان اتدبر امري بدونك . . لقد اصبح كل شيء الآن على مايرام .

وابتسم لها قائلاً :

ـ أنا سعيد لهذا يا طونيا . . والآن اذهبي الى النوم وإلا ستصبح سامنتا ضابطة نظام متشددة . .

وضحكت انطونيا ، وشاركتها سامنتا الضحك ، ثم قالت .

ـ ممكن ان تكون . . أنا أعرف أول مرة التقينا في المستشفى اضافتني . . . وضحكت ثانية وتابعت :

ـ جيلس ، لا تتكلم هكذا أعتقد انك ازعجت سام . ولا

يجب عليك أن تفعل .

وجلس الدكتور على ذراع كرسي ووافق معها انه لا يجب ان يزعج سامنتا ، ولكنها كانت واثقة انه يضحك في قرارة نفسه . وقالت :

ـ من الجميل أن أراك مرحة هكذا يا طونيا . الدكتور وينتر سيسر عندما يراك غداً . .

ووصفت طونيا يدها الجميلة على فمها .

ـ لقد نسيت . . . ولكنه لن يفحصني سوى لهذه المرة فقط ، أليس كذلك ؟ ويقول أنني بخير . . أنا بخير ألست كذلك ؟

وتطلعت سامنتا بجيلس قبل أن تجيب

ـ أعتقد هذا . . ولكن لست أنا من يقرر .

ـ ولكنني بخير ، أنا أعرف . . جيلس قل انني بخير . .

ـ أنا لست طبيبك ياعزيزتي . .لنستمع أولاً لما يقوله دكتور وينتر ، مع إنني سأندهش إذا لم يعلن انك شفيت تماماً . .

ـ هذا جميل . . ولا استطيع الإنتظار . . ولكن هناك شيء سيء بالأمر . . . إذا كنت بخير فهذا يعني أن عزيزتي سام ستذهب .

وقاطعها جيلس بنعومة :

www.elnomania.com

ـ آه . . أجل . . وهذا يعجل بضرورة ترتيب زيارتك لي يا سامنتا . . . لنرى . . اليوم هو الخميس . . وأنا حر يوم الأحد . إذا سأحضر لآخذك عند الساعة التاسعة ، هل يناسبك هذا ؟

ولم تجد الكلمات كي ترد على هذا الترتيب الفوقي الذي قام به ، بالرغم من ان قلبها قفز من الفرح . فقالت :

ـ حسناً . . ولكن . . . .

ـ لا أعتقد أنك ستسافري قبل يوم الأحد . . ولا يجب أن تعودي دون أن تري معالم هولندا .

وأسرعت انطونيا الى القول :

ـ طبعاً يجب ان تذهبي معه يا سام . سيأخذك جيلس كما قال ، وسيكون دليلك في البلد وربما زرت منزله ايضاً . وهو بيت جميل . . إذا لقد تم كل شيء . .

ونهضت وسارت نحو جيلس حيث يقف وعانقته ثم قالت :

ـ تصبح على . . سأتحمم لوحدي يا سام . . ثم تأتين لوضعي في الفراش كما تفعلين دائماً . . ثم لتنتظري الى ان ابتلع الدواء . . ألن تفعلي ؟

ونظرت إليهما ، وخرجت من الغرفة ، وحاولت سامنتا اللحاق بها ، فأوقفها الدكتور ، بوقوفه ما بينها وبين الباب فقالت :

ـ أظن من الأفضل إن صعد واطمئن على طونيا .

وتجاهل هذه المحاولة الضعيفة للتخلص وسألها :

ـ هل هناك مكان خاص ترغبين في رؤيته يوم الأحد ؟

ـ حسناً . . لا . . هل أترك الأمر لك ؟ أنت أعلم مني . . إضافة إلى أنني قد استطيع الذهاب لوحدي .

ـ اجل . . ولكنك قد لا تعرفي كيف تعودي . . بالطبع قد اوفر عليكي الوقت . كما يجب ان توفري وقتاً لكلارا فهي تريد التحدث معك . فإقامتك كانت قصيرة .

ـ أجل لم أكن أتوقع ان تطول هكذا . كانت مثل قضاء عطلة . .

ـ حقاً . . لم أفكر بها هكذا ، لم يكن لديك وقت لنفسك ، أليس كذلك ؟

ـ كان لي قدر ما رغبت فيه .

ـ سأذهب الآن ، وسأعود يوم اوحد ، واتمنى أن تكوني بمزاج جيد يا سام . واخذ بيدها وسار بها نحو الباب قائلاً «هل لك أن تقفل الباب ورائي ؟» وعانقها متمنياً ليلة سعيدة ، وذهب .

في الصباح ، أعلن الدكتور دووينتي ان طونيا قد شفيت تماماً «مع بعض الحذر . . . لا ترهقي قواك ولا سهر كثير . سأرى رولف قبل أن أذهب وأتأكد من أن تبقى سالمة .

ـ أنا كبيرة الآن . . ولا حاجة له لأن يقلق علي . .

ـ حسناً لن يقلق لمدة طويلة . . استطيع القول انه سيسعى مسروراً لزواجك . .

وضحك الدكتور ، وهز رأسه محيياً سامنتا ، وبعد أن زار البارونة ، ذهب في طريقه . . ونزلت سامنتا على الفور الى البارونة وسألتها متى يجب عليها ان تسافر ، يجب عليها ان تقوم بمجهود كبير حتى لا تقابل جيلس ثانية ، وأجابتها المرأة اللطيفة :

ـ أعلم انك ترغبين في العودة . . ولكن أرجوك يا سامنتا ، هل تبقين معنا لبضعة أيام فقط . . إلى يوم . . . الثلاثاء ؟ . وسيكون لك وقت للخروج مع جيلس ، ويوم لتحضير نفسك ولوداعنا جميعاً . . اليوم هو الجمعة واتصلت صوفي لتدعونا على العشاء عندها يوم السبت ، ثم ربما اخذتيني انا وطونيا غداً أو السبت الى المدينة ، ألا ترغبي في شراء الهدايا ؟ وابتسمت لها بلطف . . ولم تستطع ان تعارض ، لما لاقته من لطف هذه السيدة ورقتها . وستتمتع بزيارة صوفيا ثانية ، وستتمتع ايضاً بالذهاب الى المدينة . ووافقت بسعادة على ما اقترحته البارونة .

عندما حضر البارون ليصطحبهن ، كن ينتظرانه ، بعد أن أبدت البارونة إعجابها بسامنتا ، وبدوره أبدى البارون إعجابه أيضاً . وعندما وصلوا الى المنزل قدمتها صوفيا الى الضيوف الآخرين ، ولم يكن جيلس بينهم ، ومع ذلك فقد كانت سامنتا مسرورة برفقتها للشاب الذي اختارته لها صوفيا . . وفي غرفة

الإستقبال ، وجدت نفسها تتحدث إلى شاب أخر ، كان يجالس انطونيا خلال العشاء ، ولاحظت سامنتا انهما كانا يتحدثان باستمرار مع بعضهما ، وقدم لها نفسه بأنه مساعد الدكتور أوزل ، وقالها بفخر ، واتبع ذلك بمدح رئيسه لعدة دقائق . وأظهرت سامنتا الإهتمام المناسب بحديثه المستمر حول جيلس ، وقالت انها كانت تتوقع رؤيته الليلة . . فرد عليها موافقها .

ـ ولكن هذا مستحيل عليه . . فقد أراد أن يكون حراً يوم غد ، ولذا أخذ دور الدكتور فان تورن لهذا المساء ، وسيأخذ الدكتور فان تورن دوره غداً .

وتلقت سامنتا هذه الأنباء بمشاعر مختلطة ، وكانت على وشك أن تسأل بعض اوسئلة الأخرى عندما وصلت انطونيا .

ـ انتما تتكلمان همساً . . لماذا ؟

ـ لا بد أن الأمسية مخيبة لك يا طونيا ، وأشعر بالذنب ، لو لم يطلب من جيلس الخروج معه غداً لكان هنا هذا المساء .

ـ أوه . . وما هي حفلة عشاء صغيرة أمام يوم كامل في رؤية المناظر ؟ انها فرصتك الوحيدة لرؤية القليل من هولندا قبل عودتك . واعتقد انها فكرة رائعة واخبرت جيلس بهذا .

وانضم اليهم دكتور دوورنتر ، واشترك معها في حديث عن مستشفى كليمنت ، ثم حضر رفيقها يبحث عنها .

وذهب المدعوون ، ووجدت نفسها جالسة في غرفة الإستقبال تحتسي كوباً من القهوة ، بينما كان البارون والبارونة وانطونيا والبارونة الحسنة يتحدثون عن حفلة العشاء . وأقبلت صوفيا لتجلس الى جانبها .

ـ هل أعجبك مرافقك يا سامنتا ؟ انه لطيف ، وله عمل مهم أيضاً في البحوث الكيميائية . . لقد أعجب بك .

ـ أجل . . أعلم ، لقد كان لطيفاً .

ـ ولكنه ليس الأفضل ، أظن انك مثلي يا سامنتا ، تفضلين لا شيء ، إذا لم تحصلي على ما ترغبين به .

ـ أوه . . هل قلت أنا هذا ؟ . . حسناً لم أعنيه . أجل ، اعتقد انك مصيبة !

وكانت على وشك أن تجيبها ، فأسرعت للقول «تعالي معي ، أنا آسفة لأنك لم تقابلي شقيق رولف وشقيقته ، ولكن على الأقل تعالي وودعيني وطفلي رولف الصغير . . تعالي لشرب الشاي .

يوم الأحد صباحاً . . تناولت الفطور وارتدت ملابسها وانتظرت وصول جيلس طويلاً في غرفته . وأقبلت الخادمة لتبلغها أن الدكتور وصل وإنه ينتظرها تحت . ولم تكن انطونيا ولا البارونة قد استيقظتا بعد ، وهكذا نزلت سامنتا لتقابل جيلس في الردهة ، حيث حياها بصوت مرح بينما كان قلبها يدق كالطبل

داخل ضلوعها لرؤيته . ورافقته إلى الخارج وصعدت الرولز ميرلان . . وبعد خمس دقائق قال :

ـ أنت صامتة ، لماذا ؟ ألم تتمتعي بحفلة العشاء أمس ؟

ـ بلى . . شكراً لك ، لقد قابلت شخصاً اسمه هينك ، وأخبرني لماذا لم تأت الى هناك .

ـ آه . . لقد فهمت لم هذا الغضب . . لقد شعرت بالذنب لأنني تخليت عن الحفلة لأقضي النهار كله معك . . اليس كذلك .

ـ اجل . . لم أكن راغبة في الذهاب معك ، ولكن طونيا قالت لي انها فكرة جيدة ، وهي لا تمانع . .

ـ وهل هذا يجعل كل شيء على ما يرام إذا وافقت طونيا ؟

ـ طبعاً . . وأنا شاكرة لها . ولك طبعاً .

ـ بما اننا حصلنا على بركة طونيا ، لنتمتع إذا ، هناك خريطة في درج السيارة ، اخرجيها وتابعي طريقنا عليها . سنذهب في طريق ريفية طويلة وجميلة ، حيث تشاهدين أفضل المناظر ، وسنعود عن طريق مختصر ، ولو أن الظلام سيحل عند رجوعنا .

ـ يبدو هذا جميلاً .

وأخذت تحدق بالخريطة وتتابع الطريق ، وبدت لها الرحلة طويلة حول هولندا . . فقالت «ليست هذه طريق طويلة ؟» .

ـ لا ، فهولندا بلد صغير ، وأمامنا النهار كله .

النهار كله . . وكأنه يقول الى الأبد . . وصممت ان تتمتع بكل لحظة من هذا النهار . . وجلست بشكل مريح على مقعدها والخريطة مفتوحة على ركبتيها . . وأخذ يشرح لها كل جزء من الطريق الذي يقطعانه . وأخذ يتمهل بسيره عند الأماكن التي يرغب في ان تراها عن كثب اكثر . وتوقف في احد القرى ، لأن السكان كانوا خارجين من الصلاة ، واخذت تحدق بسرور بزيهم الوطني الجميل .

وغادر الطريق الرئيسية ، واخذ يقطع طريقاً ريفية ضيقة ،دون استعجال ، حتى تستطيع التحديق من حولها ومضى وقت طويل قبل ان يعودا الى الطريق الرئيسية خارج مدينة امسفورت رأساً حيث اشار اليها الى البرج القوطي الذي يعود الى العصور المتوسطة ، ثم تابع طريقه الى بارن» حيث مر بها قرب القصر الملكي ، وتوقف لبضع دقائق ، قبل ان يعود في طريق ضيق أوصلهما الى فندق . قال لها جيلس انه قصر قديم يدعى «دوهوغ فورسيتش» وقال لها «اتتناولي القهوة ؟» وقادها الى الداخل . .

داخل غرفة القهوة ، كان الجو هادئاً ودافئاً ، ووجدت نفسها تتكلم عن جديها ، وطفولتها ، والمستشفى . وسألها جيلس :

ـ والى ماذا ستعودي الى هناك ؟

ـ لا اعلم . . ليس لأجل الوظيفة على كل . . .

ـ اليس امامك خيار آخر ؟

ـ اوه . . حسناً . . ربما لدي . . استطيع التقدم بطلب . . .

ـ لقد ظننت انك لست طواقة لوظيفة دائماً .

ولم تفهم ما قصده أبداً ، لأنها لم تكن تعلم شيئاً عن جاك المزعوم . والذي قد لا يقبل بأن تحصل على وظيفة دائمة . ووافقت على ما قاله ، وأخذت تحدق في وجهه الهادىء تسأل عما يفكر به خلف هذا الهدوء .

وعادا الى السيارة ، ليعبرا الطريق نحو هيلفرسوم ثم امستردام . وعندما عادا الى هارلم وجدتها جميلة ايضاً وكبيرة كالمدينة . وسار الدكتور عبر شوارعها ببطء ، مشيراً الى أقدم البيوت فيها ، الى ان أدار السيارة في النهاية نحو الممر الخلفي لمنزله ، وقال وهو ينزل من السيارة .

ـ ألا تمانعي لو تركتك لبضع دقائق ؟ كلارا ستكون مسرورة لرعايتك ، لدى زيارة أقوم بها في مكان قريب .

وفتح باب المنزل وأوصلها عبر الردهة الى غرفة الجلوس . وجذب جيلس حبل جرس قديم الطراز أو عندما ظهرت كلارا ، انصرف ، قائلاً لسامنتا بانه سيعود قريباً . وكان عند كلمته فما ان انتهت من ترتيب نفسها ووتنزل السلم حتى عاد . ووقف ينظر اليها وظنت للحظة انها في حلم وانها تعيش

فعلاً معه تحت سقف واحد ، فابتسمت بسعادة . وتغير وجهه ولمعت عيناه الرماديتان بالعمق . وبدأ يسير نحوها قائلاً «سامنتا . . . يا فتاتي العزيزة . . .» ثم توقف ، وصحت من حلمها ونظرت اليه ، وهي لم تعد تدري إذا كان وجهه جزء من الحلم ام انه واقع .

وأخذت تتفحصه وهي تقترب منه ، ورد عليها بنظرة مماثلة ، ولكنه اخذ يتحدث عن كلارا ويداها المحترقتين ، ومواضيع مختلفة خلال تناولهما الشاي قبل العشاء ، ثم الحساء ، وتحول حديث الدكتور دون عناء عند تناول الدجاج المطبوخ الى الحديث عن معالم هارلم ، واستمعت اليه سامنتا وهي تجول نظرها سراً في الغرفة الرائعة التي يتناولان الطعام فيها وبأثاثها الفخم ، وابتسم لها قائلاً «انت لا تصغي الي» .

ـ آه . . بلى . . واعذرني لو اعتقدت هذا ، فهناك الكثير لمشاهدته هنا وللإستماع لك ايضاً ، وأخاف ان يفوتني شيء .

وابتسمت معتذرة . اي رجل آخر قد يغضب لهذا التصرف ، ولكنها علمت انه قد فهم ما تعني ، واحبته اكثر ، وعندما تناولت الحلوى علقت عليها بإعجاب مما جعله يضحك ويقول «لدي طباخة ممتازة ، كلارا تدير المنزل ، ولكن «ريا» تدير المطبخ ، وهناك فتاة اخرى اسمها «كوري» تقوم بالأعمال المنزلية ، وأخرى تأتي كل يوم للمساعدة» .

واتسعت عينا سامنتا وعلقت «كل هذا العدد ؟ لا بد انه منزل كبير» .

ـ انه كبير جداً ، إذا انتهيت من الطعام سنتناول القهوة في غرفة الجلوس . وبعدها لو رغبت سنتجول في المنزل .

وكان المنزل كبيراً بالفعل . على الرغم من ان بعض غرفه كانت صغيرة بشكل عجيب . وأخذت سامنتا تحدق بالغرف وهو يفتح لها الأبواب وسألت بدهشة «لماذا كل هذه الغرف ؟ أنت بالتأكيد لا تستخدم نصفها طوال السنة» .

ـ بالفعل . . ولكنني اعرف كل قطعة اثاث فيها ، وكلارا تتأكد بنفسها من نظافتها على الدوام . وكما ترين المنزل لم يتغير كثيراً منذ ان بني لقرون خلت ، على الرغم من الزيادات الحديثة عليه ، وانا احب ان يبقى كما هو ، مع انه كبير جداً علي . في الوقت الحاضر .

وكانت تدير له ظهرها تتفحص طاولة صغيرة جميلة ، فقالت :

ـ ولكن عندما تتزوج ستفتح بعضاً من الغرف على الأقل .

ـ طبعاً سأفعل ، فهذا المكان بني على زمن العائلات الكبيرة العدد ، وبما انني لا اظن انني سأكون أباً لدزينة اولاد ، فعلى الأقل امل بعائلة لا بأس بعددها .

ـ أوه . . أجل . . انه منزل بني للأولاد . اليس كذلك ؟ كل

هذه الممرات الجميلة والغرف الصغيرة الرائعة . .

ـ اهتمـامك بمستقبلي يثيـرني . . ومن المؤسف انـك لن تعرفي . . .

واستدارت ثانية لتتفحص نفس الطاولة الصغيرة ، تـرى ماذا سيفعـل بعـد ان نسـافـر ، فليتـزوج ويستقـر وينجب حفنـة من الأولاد ، ما همها . وسمعته يقول «إذا لم تبتعدي عن هذه الطاولة فسأهديها لك» تعالي وتفرجي على غرفة الإستقبـال، لقد تـركتها الى الآخر لأنها ستكون مفاجأة لك» .

وكانت الغرفة في آخر المنزل ، لها نافذة عريضة متـوسطة ، من السقف حتى الأرض . وتـطل على بـاحـة خـارجيـة أشبه بالمرجة ، وواسعة لدرجة قـد تتسع لخمسين شخصـاً بالـراحة . ومـع حجمها الكبيـر كانت جميلة ومـريحة ، وعـدد من الكراسي المريحة والـطاولات المنتشرة حـولها ، وفيهـا لوحـة مبطنـة تقف على الجدار ، وموقد كبير على جانبيه كنبتـان ضخمتان مغـطاتان بالمخمل الأحمر بلون الستائر . ووقفت سامنتا بالباب ، مدهوشة تماماً كما تنبأ مضيفها ، ثم التفتت وبدأت سلسلة من التسـاؤلات «انها اكثر من عظيمة بكل بساطة اكثر من عظيمة ، وكلهـا حياة ، هل تقيم فيها الحفلات ؟» .

ـ في المناسبات . . واستخـدمها احيـاناً عنـدما يكـون لدي اصدقاء على العشـاء . لم تتغير فمنـذ زمن طويـل ، وأريدهـا ان تبقى هكذا .

ـ انها كبيرة جـداً وتقطع الأنفـاس ، شكراً لـك لأنك اريتني منزلك ، لقد فهمت لماذا تحبه كثيراً ، سيكون لدي الكثيـر لأخر جدتي عنه عندما أراها .

ـ وكيف ستسافري ؟

ـ بـالطائـرة . . لقـد حجـز لي البـارون تـذكـرة يـوم أمس ، وسيوصلني إلى المطار ، وسأكون في لندن بعد الظهر .

ـ وأي عملك في اليوم التالي كما أعتقد .

ـ بالطبع . .

وتناولا الشاي حـول نار غـرفة الجلوس قبـل ان يريهـا غرفـة مكتبـة وغرفـة العيادة الصغيـرة التي يرى فيهـا مرضـاه ، فسـألتـه «الديك عيادة كبيرة في المدينة» .

ـ أجـل . . كبيرة جـداً ، وافكر ان أجـد لي شريكـاً فيهـا . سيريحني هذا . .

سيحتاج الى الراحة عندمـا يتزوج انـطونيا ! . . وطلبت منـه ان يعود بها الى منزل البارونة قبل ان يحـل الليل ، فقـال بصوت ناعم .

ـ ولماذا ؟ هل شعرت بالضجر ؟

ـ لا . . بالطبع لا . . ما هـذا القول السخيف . ولكن ربمـا لديك شيء لهذه الأمسية ولا أريد أن أؤخرك عنه .

ـ لدي شيء . . سنتعشى في مطعم بولسوارد ، وستأخريني عنه إذا لم تقبلي .

ـ احب هذا جداً .

ـ جيد . . وبما اننا سوينا هذه المسألة . . لنجلس ونتحدث دون ان يكون امامك اعذار تقفزين لها بين فترة وفترة .

وامضت أسعد ساعة قضتها منذ زمن بعيد ، ولاحظت انها لم تقل نصف ما كانت تنوي قوله عندما قال لها :

ـ انا آسف ، لا نستطيع المضي في التحدث لساعات هكذا ! يجب أن نذهب إذا كنا نريد الوصول الى المطعم في الوقت المحدد للعشاء .

وهكذا اخذت أشياءها وتبادلت حديثاً قصيراً مع جوفرو بوت ، ثم خرجت مع جيلس .

الطعام في مطعم بولسوارد كان لذيذاً ، تمهلا في تناوله ، الى ان نظرت الى ساعتها ، وذعرت عندما لاحظت انها قاربت الحادية عشرة .

لم يكن هناك احد يقظ في المنزل عندما وصلا . ولكن الباب فتح بيد جيلس ، وتبعها الى الردهة . حيث القت خطبة من الشكر ليومها العظيم السعيد الذي حققه لها ، واسكتها عندما اخذها بين ذراعيه . وقال «كان يوماً سعيدا لي ايضاً ، تصبحين على خير ايتها الفاتنة سامنتا» «الوداع يا جيلس» . واجابها «انا لا

أقول وداعاً أبداً» وتوجه نحو الباب واكمل «اغلقي الباب وراءي يا فتاتي العزيزة» .

وأقفلت الباب بالمفتاح ، وهي بالكاد ترى المفتاح لأن الدموع كانت في عينيها ، كانت وكأنها تقفله على حياتها . الم تكن تفعل هذا ؟ واستمعت الى صوت اطارات الرولز تبتعد ، وعندما حل السكون . . . صعدت الى غرفتها لتنام .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

صباح الإثنين استيقظت وجفناها ثقيلان من الليلة التي امضتها دون نوم . وتناولت فطورها مع انطونيا ، ثم تحدثت مع البارونة قبل أن تعود الى غرفتها لتضع بقية أغراضها في الحقيبة . وبعد تناولهم القهوة تذكرت انطونيا ان عليها ان تزور طبيب الأسنان . وسرّت سامنتا كثيراً ، فأحضرت السيارة وأخذت مريضتها الى الطبيب . وكان الطقس بارداً ومغيماً . وحاولت إبقاء روح المرح التي تحافظ عليها انطونيا ، وخاصة عندما بدأت تسألها عن خروجها مع جيلس . .

ـ انه عزيز علينا جداً ، أنا أعرفه منذ أن كنت طفلة ، هل تعرفي هذا ؟ ألم يعجبك منزله يا سام ؟ رولف عنده منزل جميل أيضاً ، ولكنني أحب منزل جيلس أكثر .

وأحست سامنتا بالتوتر ، ولم ترد بل ركزت انتباهها على القيادة وتابعت انطونيا «لديه جدة عجوز لطيفة جداً . لن تعيش معه لأن عندها منزل قرب البحر ، والعديد من الخدم . وشقيقان في كندا ، ولكن ليس الى الأبد انهما عالمان في الطبيعيات ،

ولا يزالان صغيران . أحياناً يأتيان لزيارته وأحياناً يذهب هو لزيارتهما . انه الكبير . . ولولا انه مشغول جداً لشعر بالوحدة .

ـ حسناً . . لا حاجة لأن يكون وحيداً ، بإمكانه ان يتزوج .

ـ أوه . . أجل . . وسيكون زوجاً رائعاً يا سام ، فهو يعرف دائماً ماذا يفعل . . وعنده مال كثير أيضاً . . وأنا لدي مال . . . رولف يديره لي . . .

وحاولت سامنتا تغيير الموضوع ، وقالت لها :

ـ هل رأيت هذه السترة من الجلد ، انها رائعة ، وهي مفيدة في هذا الوقت من السنة .

ـ أجل رأيتها . . أظن انني سأطلب واحدة من لندن أو أذهب أنا واشتريها . . وانت يا سام ، الن تشتري واحدة ؟

وأخذت سامنتا تحسب ، مرتب شهر كامل ، وإذا اشترتها لن تستطيع دفع الإيجار ، ولا الأكل ولا الشرب ، وبالطبع ولا الذهاب الى منزل جديها أيام الراحة فقالت :

ـ أظن . . فلن استطيع ارتداءها كثيراً .

ـ أنت على حق . . لأنك دوماً في لباس العمل . وهو ثوب جميل .

ما تبقى من النهار انقلب الى سوء تقريباً . فعند الغداء تشاجرت انطونيا مع امها حول ماذا كان جيلس قد وعد بأخذ أنطونيا الى هارلم في الأسبوع المقبل . وأكدت انطونيا قائلة «لقد

اخبرني بنفسه ، وقال انه مشغول ، وإذا لم يكن لديه وقت سأذهب بنفسي عنده في المستشفى وقالت لها امها بحدة «لا تستطيعي فعل هذا» ونظرت انطونيا الى سامنتا متوسلة وقد بدا عليها الشحوب «هل قال لك شيء يا سام؟» وأجابت بالنفي ، وكادت ان تقول ان جيلس لا يخبرها بشيء عن حياته الخاصة ، ولكنها شعرت بالراحة عندما تحول الحديث الى زواج احد صديقات انطونيا .

بعد الظهر ذهبن جيعاً الى منزل رولف لتناول الشاي ووجبة غير رسمية . وجلسوا حول النار ، مع الطفل رولف ، على ركبة والده ودار الحديث براحة حول الأطفال وقضايا العائلة الصغيرة ، ومستقبل سامنتا في المستشفى . ولم يذكر أحد منهم جيلس . وقالت صوفيا عندما بدأن التحضير للإنصراف «لن أقول وداعاً يا سامنتا ، لأنني واثقة اننا سنلتقي ثانية» . وقبلتها بحرارة ، وأخذ رولف يدها وضغط عليها شاكراً وقال بلطف :

ـ هل تشعري بأسف لتركنا ؟

ـ أجل . . أوه . . أجل . . أنا . . سوف . . لقد كانت . . .

وتوقفت وأسرع الى القول لها :

ـ أنا أيضاً آمل أن نلتقي ثانية .

وأطرقت نظرها الى الأرض ، فلم تشاهد النظرة السريعة

التي تبادلها البارون مع زوجته التي ابتسمت له .

وحضر البارون باكراً لاصطحابها الى المطار ، بعد الفطار مباشرة . وودعت الجميع ، وصعدت الى السيارة ، ولم يكن لديها الوقت لتلتفت الى باب المنزل لتلوح للواقفين هناك ، فقد اسرع البارون بالإقلاع بالسيارة . وعند الطريق قال لها «انت فتاة عاقلة . . الوداع صعب ، أليس كذلك ؟ اخبريني ، هل ستذهبي مباشرة الى المستشفى عندما تصلي الى لندن ؟

وحالما انتهت من تفصيل خططها كانا قد وصلا الى المدينة ، وتابع حديثه حول أشياء غير محدودة . ثم قال «لقد نسيت ان أقول لك . . سأوصلك الى هارلم فقط ، واسلمك هناك لجيلس ، لدي اجتماع مستعجل دعيت إليه منذ ساعات فقط . وهو غير مشغول لحسن الحظ وليس لديه مانع ان يوصلك الى المطار» .

ـ لا أمانع ، انه لطف منك ان تزعج نفسك بإيصالي أصلاً . هل يمانع جيلس ؟

ـ لا ، لا يمانع .

ووصلا إلى منزل جيلس باكراً ، وكان جيلس يستقبل مريضاً في مكتبه ، واستقبلتهما كلارا وقادتهما نحو غرفة الجلوس ، وعادت بعد لحظات تحمل صينية القهوة . وتناولا قدحاً ، ثم صبت سامنتا الاخر لها وللبارون عندما دخل جيلس الغرفة ،

وخاب املها عندما لم تلاحظ انه سرور برؤيتها . وحياها بلطف عادي مما دعاها فوراً لسؤاله إذا كان سينزعج من ايصالها في باقي الطريق الى المطار ، وأجابها ببرود .

ـ عزيزتي سام ، أصبحت تعرفيني جيداً الا لتعرفي انني لا أقوم بشيء لا أرغب به أبداً . انا مسرور باصطحابك . ولا اعلم اننا متخاصمان . . .

ـ لا تكن سخيفاً . . لقد ودعنا بعضنا فقط . . .

ـ أنت فعلتي . . واستطيع التذكر انني قلت لك انني لا أقول وداعاً أبداً . وتستطيعي الآن ملاحظة كم من الحكمة في هذا القول .

وبقيت سامنتا صامتة ، وعندما اقترح ان يذهبا ، وقفت فوراً ، كذلك البارون وودعها ودخل سيارته وذهب ، ووضع جيلس حقائب سامنتا في سيارته ، وارتدى معطفه وفتح لها الباب ثم دخل الى مقعد السائق . .

وظل صامتاً ، وكي تقول شيئاً تفوهت بأول شيء خطر ببالها :

ـ لطف منك ان توصلني كل هذه المسافة .

ـ عشرين كيلومتراً وأنا لطيف فقط .

وسببت لها هذه الملاحظة الاصمت لخمس دقائق أو أكثر ، ولكنها كسرت الصمت ثانية«انه يوم جميل . . أعتقد انك ستعود

بسرعة إلى عيادتك ؟» .

ـ ليس على وجه التحديد ، فقد ريت كل مرضى الصباح . وهناك وقت كافي للقيام بالزيارات قبل العشاء .

وكانت تبحث عن مواضيع اخرى للحديث عندما لاحظت انه خرج عن الطريق وانعطف الى ناحية كلها حقول .

ـ هل هذا هو الطريق ؟

ـ لا . . ولكن أمامنا وقت طويل .

وأوقف السيارة على جانب الطريق واستدار لينظر اليها .

ـ هل تريدي العودة فعلاً الى انكلترا يا سام ؟

ـ طبعاً . .

وأخذت تتساءل لماذا عليها أن تكذب عليه ، فيما هي تواقة لأن تبقى . . ولكنه قد يرغب في معرفة لماذا تتوق للبقاء ، كما أن هناك انطونيا . . وكانت تعرف في قرارة نفسها انه معجب بها ، لو أنها ذكية وغير متوسوسة ، إضافة الى كونها جميلة لكانت عرفت ماذا تفعل ، ولكنها لم تكن تملك شيئاً من كل هذا ، وفوق كل شيء فقد عرف جيلس وانطونيا بعضهما منذ سنوات وهي لم تعرف جيلس سوى منذ عدة أسابيع .

ـ هل لديك خطط للمستقبل ؟

ـ أجل . . كل شيء مدبر . . وابتعادي جعلني واثقة أكثر .

ـ إذا علي أن أقول ثانية ان البعد يجعل القلب يحب أكثر . اليس كذلك ؟

ـ شيء من هذا القبيل .

ووجدت غرابة في وصفه تعلقها بعملها بهذه الطريقة ، فقالت بحذر :

ـ إنه أمر جيد أن يكون كل شيء مدبراً .

ـ هل صممت رأيك تماماً ؟

ـ أوه . . أجل . . أجل .

ـ آه . . حسناً . . سنترك الأمر الآن . أنا رجل صبور ، وقد تعلمت ان انتظر ما أريد .

إنه ينتظر انطونيا ، أليس كذلك ؟ وربما عليه أن ينتظر أكثر . وقالت بأدب «آمل أن تكون فهمت» وأضافت بسرعة «الا يجب ان نذهب ؟»

وقاد السيارة فوراً . واستدار حول الطريق وانضم الى الطريق العام ووصلا الى المطار وأمامهما نصف ساعة امضياها في شرب القهوة . ولم يتحدثا في شيء هام إلى أن سمعا الدعوة لرحلتها . ورافقها الى أقصى حد مسموع به . وتوقف ليأخذ يديها بين يديه . وقال «آمل عند عودتي ان اسمع اخبارك» وعانقها بلطف فقالت بصوت مخنوق بالدموع «اوه . . . جيلس . . وداعاً» ورد عليها «أنا لا أقول وداعاً أبداً . أتذكري ؟» .

كانت قد قرءت في مكان ما أن العواطف القوية تفرغ الإنسان من كل مشاعره . وهذا صحيح . فقد اكتشفته بنفسها . وجلست تحدق عبر نافذة الطائرة الى الغيوم المحتشدة تحت وحول الطائرة ، ولم تشعر بشيء أبداً . كانت تشعر بشلل كانت متأكدة انها ستخرج منه ، وتعود الى عالمها المؤلم . ولكنها في الوقت الحاضر كانت لا تصدق انها لن ترى جيلس ثانية ، كما لا تستطيع تصور المستقبل بدونه .

كان ذهنها لا يزال مشغولاً عندما ذهبت الى المستشفى . وتقوم الى المكتب تبلغ عن عودتها ، وأجابت على أسئلة مسؤولة المكتب بأدب ، وأبلغت أن عليها أن تقوم بأعمال من هم في العطلة من زميلاتها ، وانصرفت ذاهبة الى شقتها تحمل حقائبها . ولم يكن هناك احد ، فرفيقاتها الثلاث في عملهن وبدا المنزل فارغاً ، وحده السيد ماكركن العجوز لوح لها بسعادة من خلف نافذته .

ووضعت حقائبها في غرفتها ، وذهبت تحضر الشاي ، ولم تكن تشعر بالجوع ، ولكن الشاي كان ساخناً ومريحاً .

وأخرجت ملابسها من الحقائب ، وحضرت زيها الرسمي لليوم التالي وأعدت عشاء سريعاً قبل عودة رفيقاتها . وعندما وصلن حيينها بصرخات السعادة وبالكثير من الأسئلة والحديث . وأبلغتها خبر ترقيتهن الى وظائف أفضل ما عدا بام ، أما هي فلديها وظيفة رئيسة الليل بانتظارها . وقالت لها بام «لا تقولي لنا

ان سفرك الى الخارج قد ملأ رأسك أفكاراً ؟ ام ان السبب هو ذلك الوسيم الساحر الذي كان يزورك . عندما ذهبت ذلك الصباح الى المغسلة ، أراد معرفة اين ذهبتي ، وإنه على وشك أن يغادر لندن ، أتذكري ؟ ذلك المتسلط . وهل تعلمي ما قلت له يا سام ؟ قلت انك ذهبت لتمضية يومك مع جاك ، ولما سألني من هو جاك قلت له انه خطيبك !

وشعرت سامنتا ان الدم نشف من وجهها ، وعادت اليها عشرات الذكريات عن جيلس وما قاله لها في هولندا ، لقد فهمت الآن ، لم يتحدث عن وظيفتها بالمرة بل عن مستقبلها مع جاك المزعوم .

وسألتها وشفتاها مزمومتان «وهل اندهش ؟»

ـ حسناً يا بطتي . . انه من النوع الذي يخفى مشاعره جيداً وراء ذلك الوجه الوسيم . . انه شيء جيد يا سام ، لقد اعتقدنا جميعاً انه يعبث بك ، وانت بريئة جداً .

وابتسمت سامنتا ، بكل الجهد الذي لزمها لذلك. وعندما ذكرت جوان شحوبها ردته الى تعبها من السفر . واستأذنت للذهاب الى الفراش لتأخذ قرصين من البانادول وشراباً ساخناً ، ولكنها لم تستطع أن تنام ، واستلقت معظم الليل تحدق في الظلام ، محاولة تقريرها ما إذا كان عليها أن تكتب لجيلس لتقول له أن لا وجود لجاك ولا لأحد آخر . . . وأخيراً تثاقلت عيناها ،

واستغرقت في النوم .

في انشغالها للعودة الى الوظيفة نسيت ان تتصل بجديها لتبلغهما عن عودتها ، وقررت ان تفعل هذا عند المساء ، لقد كتبت لهما من هولندا وهي الآن مشتاقة لرؤيتهما ، ورؤية ذلك المنزل الريفي الصغير ، ولكن حتى هناك سيكون لها ما يذكرها بجيلس ، سيكون من الصعب عليها أن تتهرب من ذكراه ، ولكنها ستفعل . . وفتحت الباب لتدخل المكتب حيث كانت تنتظرها الرئيسة ثوايت .

بعد ثلاثة ايام وصلها خطاب من انطونيا . ورسالة اخرى من جدتها . وقرأت رسالة جدتها . ولم يتسنى لها قراءة رسالة هولندا لأنها اشتركت بنقاش مع بعض الممرضات الأخريات ، وبعد فترة طويلة في عملها استرقت بضع دقائق لتقرأها ، قالت انطونيا فيها ، بعد مقدمة عاطفية ، انها ستتزوج . . ولم تقل لها عندما كانت عندهم لأن الأمر لم يكن رسمياً ، وإنها مسرورة لأن سام متفقة مع الرجل الذي تحبه وانها يجب ان تحضر زفافها .

وأعادت سامنتا قراءة الرسالة ! ها هي الحقيقة هنا : بالأبيض واوسود ، وبارغم من انها تعرف فقد هزتها الصدمة .

وطوت الرسالة باعتناء وكأنها شيء مهم ، ووضعتها في جيبها ، وتوجهت نحو المكتب لتعطي الرئيسة ثوايت التقارير ، وفي الوقت القصير الذي سلكت خلاله العنبر ، كانت قد قررت

رأيها حول مسألة ما ، وقالت «ايتها الرئيسة ، أرغب في ن أذهب الى مكتب رئيسة الممرضات في المستشفى الآن . هناك شيء طارىء ومستعجل أريد رؤيتها بشأنه» .

ـ ولكن الدكتور دوغان سيكون هنا بعد نصف ساعة . ولكن إذا أرادت الرئيسة رؤيتك فيجب عليك الذهاب ، ولكن عودي رأساً . ولكن سكرتيرة الرئيسة لم تقبل في أن تقابلها سامنتا وأصرت على أن تحصل على موعد مسبق ، ربما في الغد ، وبعد الحاحها التقطت الهاتف الداخلي وبدا عليها الغضب بعد ان انتهت من حديثها ودعتها للدخول .

ودخلت سامنتا ، ولم تضع وقتها بل سارعت للإعلان انها ترغب في ترك عملها في أقرب وقت ممكن ، ورفعت الرئيسة حاجبيها من الدهشة ، وسألت بهدوء ولطف عن السبب في وقت بدأ مستقبلها بأن يكون واعداً هنا .

ـ أنت فتاة صعبة المراس يا فتاة ، الا تعرفي انك ستصبحي رئيسة قسم الليل ؟

ـ انها مسألة شخصية يا رئيسة .

ـ وإذا رفضت طلبك ؟

ـ سأذهب على أي حال ، وأعرف النتائج ، ولكن في الواقع لا يهمني .

ـ هل انت واقعة في مشكل ؟

ـ لا . .

ـ في هذه الحالة ، وبما انك مصممة يجب ان اسمح لك بالذهاب . وأنا آسفة جداً لهذا وآمل ان لا تندمي . تستطيعي ترك المستشفى بعد ثلاثة أيام . وسأتصل بالمكتب الرئيسي ليدفعوا لك ما تستحقين ، وأوراقك الخاصة .

وأبلغت البنأ لصديقاتها عند المساء بعد أن تناولن العشاء ، وحدقن بها مدهوشات بعد أن امطرتها بكلمات الإعتراض . وقالت سامنتا بهدوء .

ـ أرغب في التغيير . . هناك وظيفة رائعة في البرازيل ، إحدى المؤسسات هناك تطلب ممرضة مسؤولة ، والمرتب مغري إضافة الى شقة . . و . .

وقاطعتها جوان «سام ، ستكرهين الوظيفة ، وستكوني بعيدة اميال كثيرة عن كل شيء» .

ـ لن امانع . . لقد كتبت الطلب وانتهى الأمر، أهناك مشكلة بالنسبة للشقة ، كلنا ذاهبات ولن تبقى غير بام . أليس كذلك ؟

وقالت بام ضاحكة «تقلقي بالك علي . لم أذكر لكم من قبل ، ولكنني أفكر بالزواج . . كنت أخطط في أن أترككم بعد ثلاثة أشهر ، ولكن بما اننا سنفترق على أن اقدم انذاراً لترك العمل» .

وقالت جوان . . «مسكينة الرئيسة . .» وأجابتها بام بحرج

«أجل . . واين ستجد أربعة ممرضات رائعات مثلنا ، سام هل صممت رأيك فعلاً حول تلك الوظيفة في البرازيل ؟»

ـ أجل ، ويبدو لي انها رائعة . .

وتحول حديثهن عند تناولهن القهوة ، الى حوار حول من يدخل الحمام أولاً . وأخيراً اجرين اقتراعاً ففازت سام ، وعلقت بام على هذا قائلة «انت بحاجة اليه ، تبدين تعبة وهزيلة ، الم يكونوا يطعموك في هولندا ؟»

وعاد تفكير سامنتا الى ذلك العالم الذي لن تراه ثانية «بلى . . وكان الطعام لذيذاً . . عظيماً» واستدار جوان لتسألها «هل خرجت هناك يا سام» . . «طبعاً» .

ـ اين . . هيا اخبرينا . . الى اين ومع من ؟

ـ الى منزل البارون ڤان اوني ، انه احد اكبر . . .

ـ نعلم ، نعلم . . . قولي لنا عن غيره ، اين ذهبت ؟

وكانت كمن تدير السكين في الجرح وهي تقول :

ـ لقد ذهبت الى منزل الدكتور اوزل ، ورأيت جفرو بوت . . .

وقالت بام «هذا طبيعي ، وهل امضيت النهار معها ؟»

ـ بالطبع لا . . ، لقد تجولنا في المنزل .»

ـ من انتم ؟ . . ولماذا تخبئين عنا بعد ايام من رجوعك .

ـ دكتور اوزل وأنا . . انه منزل قديم جميل ، وفيه غرف كثيرة وصرخت بهن «سو» قائلة «لأجل السماء لدينا عمل صباحاً ، ألا زلت في قسم الرجال يا سام ؟

ـ أجل ، وأتوقع ان أبقى هناك حتى أغادر .

ومرت بها الأيام تعمل بجهد ، محاولة إتعاب نفسها حتى تستطيع أن تنام عندما تذهب الى الفراش . فقد كانت تستلقي وتفكر بجيلس ، بالأشياء التي قالها ، وتتساءل للمرة المئة عما إذا الأمور كانت ستتغير لو عرف انها غير مخطوبة ، وكل ليلة يقول لها عقلها السليم انها معتوهة لأن تبقى تفكر به ، وهكذا في نهاية أخر يوم لها في المستشفى كانت عيناها يظللهماالسواد ، ووجهها شاحب دون لون ، إضافة الى توتر أعصابها من قلة النوم . وودعت الجميع ، وعبرت عن شكرها لصديفاتها اللواتي قدمن لها هدايا الوداع وركبت التاكسي مع حقائبها الى محطة القطارات لتذهب الى والميوث حيث منزل جديها . وركبت القطار واغلقت عيناها وقفز جيلس الى تفكيرها أترى ماذا يفعل الآن لا بد انه يشرب قهوته :

ولكنه بالفعل لم يكن يشرب القهوة ، فقد كان جالساً في منزل البارونة فإن دورين في غرفة الجلوس يتحدث الى انطونيا وأمها وأخذ يتساءل .

ـ تقولي انك كتبت لها يا طونيا ، منذ متى ؟

ـ خمسة أو ستة أيام ، ولقد دعوتها الى زفافي . قلت لها انني سأتزوج . . لا أفهم . . . ربما تكون غاضبة لأنني لم أقل لها عن الأمر وهي هنا . . سأتصل بها . . .

وقال جيلس بحدة وهو يقطب «لا . . اتركي الأمر لي . . انه يبدو غريباً» ودخلت صوفيا الغرفة وقالت «ما هو الغريب ؟»

وردت انطونيا «كنت أحدث جيلس عن سام . لا يمكن أن لا تكون لطيفة ولا ترد علي ؟ لم ترسل لي سوى رسالة قصيرة»

ـ السماء وحدها تعلم . . . انها ألطف مخلوق ، أذكر انها كانت ستقبل بالوظيفة الجديدة . . ربما شغلها هذا ، أو انها عادت لدوام الليل . .

وسألها جيلس بصوت هادىء «ما هذه الوظيفة الجديدة ؟» .

وبدت صوفيا مذهولة «الم تكن تعرف ؟ لقد عرضوا عليها وظيفة رئيسة قسم الليل قبل أن تحضر الى هنا ، ولكنها لم تكن قد قررت ، ولكن شيئاً ما جعلها تقرر عندما كانت مع طونيا»

ووقف جيلس وأدار ظهره للغرفة وأخذ ينظر من النافذة ، وقال :

ـ كان لدي انطباع انها ستتزوج . . واسمه جاك . .

ـ هه . . . لا بد أن أحدهم خدعك . لقد اخبرتني عن الوظيفة حال وصولها الى هنا ، وقالت انها لو نجحت فيها فستترقي . وعندما سألتها إذا كانت لا تنوي الزواج قالت لي ان

أحداً لم يطلبها وانها تعتقد بأنها غير جميلة .

وقطعت صوفيا الغرفة لتقف قرب جيلس «الم تكن تعلم ؟» .

ـ . . . ولكنني اعلم الآن . . اتساءل لماذا تركتني أعتقد هذا الإعتقاد؟ .

ـ لا أعلم ، ولكنني اعرف الآن لماذا لم . . . يقول رولف أن لا أتعاط بشؤون غيري . . ، ولكنها معجبة بك يا جيلس . . اتساءل . . طونيا . . هل قلتي لها من ستتزوجي عندما كتبت لها رسالتك ؟

وانضمت إليهما طونيا «لا . . ولكنها التقت جهنيك في الحفلة ، ولا بد انها تعرف» .

ـ وكيف لها ان تعرف إذا لم يقل لها احد ؟ ولكن انت وجيلس . . . لقد اخذك معه الى هارلم لرؤية هينك ، اليس كذلك ؟ وأتى لزيارتك في المستشفى ، و . . .

ونظرت الى جيلس الذي اجفل على الفور وقال :

ـ ولكن كيف تستطيع التفكير . . . طونيا عمرها نصف عمري ، وأنا أعرفها منذ ولادتها ، إنها شقيقة صغرى عزيزة لي . . . لو كنت أنت في مكانها فبماذا ستفكري ؟

ـ مثلما فكرت سامنتا ، ولا تزال ، أفهمت ؟ كيف لها ان تعلم ؟

في لندن، وفي وقت متأخر من الليل ، وبعد أن قاد سيارته منميناء دوقر بأقصى سرعة لها ، وصل أمام الشقة وأوقف السيارة وصعد الدرج دون أن ينسى أن يرفع يده بالتحية للسيوكوكبرن العجوز . كانت الأضواء لا تزال مشعة في الطابق العلوي . ودق الجرس ، وكان سيدقه حتى ولو كان المكان مظلماً . وانتظر يصبر يستمع الى أصوات الجدال حول من يفتح الباب ، وفتحت جوان الباب ، وهي ترتدي ثياب القوم ، وحدقت به بصمت ، وأحنت رأسها ترد على تحيته وقالت بدهشة :

ـ هذا انت . . أنا سعيدة لقدومك . . ولكن سام ليست هنا . . وفتحت الباب جيداً وأردفت «الأفضل أن تدخل» .

ولم يكن هناك احد في غرفة الجلوس ، ونادت جوان «بام ، سو ، تعاليا الى هنا» وحياهما جيلس وقال «اعتذر لزيارتي في هذا الوقت ، ولن أؤخركن . .» ونظر الى بام «اريد أن أراك انت» .

قولي لي . . هل ستتزوج سام . . اه . . جاك ؟ أعتقد أن هذا اسمه ؟ .»

ـ ولماذا تريد ان تعرف ؟

ـ لأنني اريدها لي زوجة ، ومعرفتي بالحقيقة قد تساعد في توضيح الأمور .

وابتلعت بام ريقها «انظر . . ليس هناك جاك . وأنا آسفة

لأنني قلت لك هذا ، لقد ظننا انك تتلاعب بها فقط، وهي عزيزة علينا ، وليس لديها خبرة بالرجال ، لقد فعلنا هذا لخيرها» وقال بغضب :

ـ أنا متأكد من كلامك . . هل تخبريني اين هي الآن ؟

ـ لقد تركت المستشفى ، وعادت الى منزل جديها .

ـ شكراً لك ، تصبحن على خير جميعاً . .

وتوجه نحو الباب ، وذهبن معه ، وقالت بام محذرة «انها قد صممت رأيها على بعض الأفكار حول ما ستفعله مستقبلاً» .

واستدار عند الباب «إذاً يجب علي ان اغير فكرها ، اليس كذلك ؟» وابتسم لهن ابتسامة دافئة وذهب قبل ان تفكرن بسؤاله عما ينوي . وقد كان يعرف تماماً ماذا يريد قبل أن يسافر ليطالب بسامنتا . وأزعجه ان تتأخر سفرته بضع ساعات ، ولكنه كما قال ، رجل صبور ، وسيلزمه كامل النهار ليعد الترتيبات ولكن سيستطيع السفر باكراً في الصباح التالي . ووجه تفكيره القوي لتحقيق أهدافه ، وهو يقود سيارته مبتعداً

www.elromancia.com

الفصل التاسع

وجدت سامنتا صعوبة في أن تشرح لجديها ما حصل اكثر مما كانت تتوقع . كذلك كان صعباً تجنب الحديث عن جيلس ، وأكثر صعوبة شرح الأسباب لرغبتها في السفر الى الطرف الثاني من العالم لتعمل ، بينما لديها هنا وظيفة ممتازة بانتظارها .

وقالت لها جدتها بعد تناول الغداء :

ـ أعتقد أن العمل في البرازيل سيكون مثيراً ، وأنا واثقة بأنك ستحبي التغيير بعد كل هذه السنوات في مستشفى كليمنت . هل ستغيبي كثيراً ؟ .

ـ لسنة واحدة يا حدتي ، والمرتب هائل . وسأقبض راتب شهرين مكافأة عندما اترك العمل .

ـ هذا جيد يا حبيبتي ، أنت تعرفي انني وجدك نوافق على أي شيء تريديه .

ـ أجل أعرف يا جدتي . . وأنا شاكرة لكما . . .

ـ هل ستقولي لنا يا حبيبتي عن سبب رغبتك في الذهاب

بعيداً ؟ أيتعلق الأمر بالدكتور أوزل ؟

ـ أجل . .

ـ حسناً ، أعتقد أن باستطاعتك اصلاح الأمور .

ـ لا يا جدتي . . هو لا يستطيع ، فسيتزوج انطونيا ، وصلتني رسالة منها تدعوني الى الزفاف .

وزارتهما السيدة هامبغير ـ بورت ، لتبادل الحديث ، وهذا يعني تناول الشاي والقاء الأسئلة على سامنتا .

ـ أخبرني عن هولندا . هل تمتعت بإقامتك هناك يا سامنتا ؟

وأجابتها سامنتا بالإيجاب ، ثم اخذت تحدثها عن البلاد وجمالها ، وعن الناس الذين أقامت معهم ، وكم كانوا لطفاء . وكان هذا خطأ منها . لأن سائلتها ارادت ان تعرف إذا كانت قد التقت بجيلس اوزل .

ـ اجل . . كنت اراه من وقت الى وقت .

ـ اخبريني كل شيء عنه يا طفلتي . .

ونظرت سامنتا الى جدتها ، فقالت لها :

ـ أجل اخبرينا عن منزله يا سامنتا ، فالسيدة هامبغير بوتر تشاركني الإهتمام بالأثريات . . هناك الفضة و . . .

وهكذا امضت سامنتا نصف ساعة محمومة تتحدث عن الفضيات الأثرية ، والجدران المطلية بالفضة والأثاث الرائع الذي

www.elromancia.com

يعود تاريخها الى أوائل القرن الثامن عشر . وأخيراً نهضت السيدة هامبغير بوش وودعتهما وغادرت وهي لا تزال تتحدث عن الفضيات .

وفي الصباح التالي ، وبعد الفطار ، وانهاء عمل البيت ، لفت نفسها بالمعطف القديم ، وخرجت تتمشى نحو بيت حرس السواحل القديم . اخر مرة كانت هنا كان برفقتها جيلس . ما يحيط بها كان بارداً ، وبعيداً عنها ، لكنها لم تك تشك انه احسن الف مرة من منجم ذهب في البرازيل . . وأدارت ظهرها الى الماء وبدأت تسلق الطريق الى القرية ، وبوصولها الى الأعلى ، نظرت الى القرية والوادي تحتها وادركت فجأة ان تغيير مستقبلها لن يغير شيئاً ، ومهما بعدت المسافات فلا فرق . وسيبقى جيلس دائماً موجوداً ، في أول ما تفكر به عندما تصحوا صباحاً وأخر شيء تفكر به قبل ان تنام ، انها من النوع المتعصب الذي لا يحب سوى شخص واحد ، وتحبه بشكل حقيقي .

وأمضت بعد ظهر ذلك اليوم تغنى بالحديقة وتقلع الأعشاب الضارة منها ، ولكنها وهي تعمل بغضب اضرت بالشتول الجديدة التي زرعها جدها هناك . ولكنه لم يقل لها شيئاً . وبالتأكيد اتعبها العمل . فآوت الى الفراش باكراً ، واستلقت في الظلمة ، تبكي ، وأراحها البكاء كثيراً . . فنامت أخيراً . واستيقظت في الصباح وأثر البكاء على وجهها .

وتوجهت بعد الإفطار الى المطبخ لتضع بعض المربى من

بعض الفاكهة التي ارسلتها لهم السيدة بورتر . وكانت سامنتا مسرورة لأن تفعل شيئاً يلهيها ، وعملت نحو نصف ساعة أو أكثر ، وهي تنظف الفاكهة وتقطعها ، ثم وضعتها في وعاء كبير مع السكر والحامض ، وأخذت تحرك الخليط بملعقة خشبية كبيرة ، بعد أن وضعتها فوق النار . ووقفت تنتظر انتهاء الطهي ، وأفكارها بعيدة ، وبجهد أبعدت أفكارها عن الماضي نحو الحقيقة والمستقبل . ولاحظت ان باب المطبخ فتح ثم أغلق . .

ـ سامنتا !

جاءها صوت جيلس عبر المطبخ ، ودارت الدنيا بها ، فأوقعت الملعقة من يدها في وعاء المربى ، واستدارت لتحدث وهي غير مصدقة .

كان يتكيء على الباب ، يخيء رأسه تحت السقف المنخفض ، يبتسم لها بطريقة جعلت قلبها يذوب . وهجرها صوتها ، وتابع !

ـ انطونيا تريد ان تعرف لماذا لن تأتي الى حفل زفافها .

ووقفت تحدق به وكأنها لم تسمع شيئاً ، وشحب وجهها ، واردف :

ـ لقد قلقنا جميعاً لهذا الصمت . . . رسالة قصيرة ثم لا شيء . . . طونيا اتصلت بي وذهبت الى عندهم و . . . .

وقاطعته ، بصوت جاف ومرتفع «انا ذاهبة الى البرازيل» .

ـ انها مسافة بعيدة للسفر .

وبدا وكأنه غير قلق ، وغير مهتم ، وتجاهلته ، وقد صممت ان تقنعه وتقنع نفسها في نفس الوقت «انها وظيفة عظيمة . . في منجم» .

ـ اليس العمل قاسياً عليك ؟

وتقدم نحو النار ليزيل وعاء المربى عنه ، ثم اخذ يديها الملوثة بالمربى بين يديه ، وقال :

ـ لا استطيع ان اسمح لك بالعيش في منجم لما تبقى من حياتك يا حبيبتي .

وتعالى الإحمرار الى وجهها «لا يجب أن تقول هذا ، فكر بانطونيا» .

ـ انطونيا ؟ ولماذا أفكر بها ؟ لديها هينك ليفكر بها لبقية حياتهما .

ـ هينك ؟

وكان صوتها لا يزال مرتفعاً ومرتعاشاً ، ووجهها متورد . . . ونظر اليها نظرة كلها حب وقال ببطء :

ـ أجل . . هينك . . يا عزيزتي المحبوبة ، سيتزوج طونيا . إنهما يحبان بعضهما منذ أكثر من سنة . .

ورفع يديها وقبلهما ، وقالت سامنتا «ولكنني لزجة» .

ـ بل أنت فاتنة ، يا فتاتي العزيزة ، وهذه ثالث مرة أقولها لك ، ولم تصدقيني أبداً . . هل تصدقيني الآن ؟

ـ لقد اعتقدت . . إنك . . ستتزوج وطونيا .

ـ لا أستطيع فهم لماذا يا حبيبتي . ولا أتذكر انني قلت شيئاً من هذا القبيل . ولماذا ، انها تنظر الي كشقيق آخر لها . وبالنسبة لي انها شقيقتي الصغرى .

ـ لقد اخذتها الى منزلك في هارلم وأمضيت كل اليوم معها . ،ـ كان بمقدورها ان تذهب بسيارتها .

ـ يا حبيبتي . . هل شاهدت طونيا مرة تقود سيارتها ؟ إنها مجنونة على الطرقات وخطرة على نفسها .

ـ لقد ضحكت علي . .

وأخذت تقترب اكثر بين ذراعيه ، فقال لها :

ـ طبعاً ضحكت عليك . . لقد جعلتيني أضحك من السعادة لرؤيتك والبقاء معك والتحدث إليك .

وأصبح صوتها ضعيفاً وهي تقول «كان يجب أن تقول هذا»

ـ بالطبع كان علي أن أقول ، ولكن صديقتك بام ، تفضلت وقالت لي ، أوه . . منذ زمن . . إنك ستتزوجي شخصاً اسمه جاك . ولكنها اخبرتني عندما ذهبت الى شقتك قبل مجيئي الى هنا ، انها اخترعت القصة لتوقفني عند حدي .

www.elromancia.com

ونظرت سامنتا الى وجهه الهادىء وقالت :

ـ أجل . . لقد اخبرتني . . لماذا إذاً ؟ . . .

ـ لماذا لم أجيء في وقت أقرب ؟ كنت مسافراً ، أتذكري ؟ وعندما قابلت طونيا وصوفيا اتيبت . . هل نسيت انني قلت لا للوداع ؟

ـ لم أعتقد انك تعني ما تقول .

ـ لا ؟ وما رأيك بهذا ؟

وجذبها إليه واحتضنها بطريقة لا تترك اي شك في رأس اي فتاة .

ـ هل تعتقدي انني اعني هذا ؟

وكانت قد أصبحت حمراء البشرة ، وعيناها تشعان .

ـ اوه . . جيلس . . أجل !

ـ وهذا أيضاً شيء آخر لك لتصدقيه : احبك ، احببتك منذ اللحظة التي اطلعت علي بها من باب العنبر في المستشفى ، وانت تطلقين السؤالات علي وكأنها مدفع رشاش . وأمضيت الوقت افكر بطريقة ألقاك بها ، ومرض طونيا كان نعمة علي من الله ، لأنني تدبرت امر تمريضك لها ، عبر دوغان العجوز ، وفي هولندا ساعدني رولف وصوفيا ، كان علي محاولة أن أجعلك تحبيني ، بالرغم من جاك المزعوم . وعندما عاملتيني بكل ذلك البرود ، اضطررت للإستنتاج بأنك لا تهتمي بي بالمر ، وإن

علي أن اتحلى بالصبر وانتظر ، وربما لوقت طويل ، وكنت سأنتظر يا سام ، لما تبقى من حياتي لو لزم الأمر .

ـ ولكن لو كنت ذهبت الى البرازيل . . افتراضاً ؟

ـ كنت لحقت بك .

وتنهدت سامنتا ، ثم أجفلت فجأة وصرخت .

ـ المربى ! لقد نسيته ، لا بد ان انتزع !

شدها اليه ، وعلمت انه لا ينوي ان يتركها ، وقال :

ـ يا حبيبة قلبي . . بالتأكيد يجب أن توافقي أن من الأفضل خراب المربى ، ولا خراب حياتي كلها !

ولم يكن هناك سوى رد واحد ، وتعلقت به ويداها الملطخة بالمربى تمر على سترته وقالت «لا أتحمل أبداً أن أخرب حياتك يا جيلس» .

وقبل رأسها ، وللحظة أخذت ترى مستقبلها أمامها في وجهه ، وعاشت في منزله القديم في هارلم معه ، ولهما جيلس صغير ، وابنة او اثنتين شرط أن تكونا أجمل من أمهما . وقالت بصوت مرتفع :

ـ أنا فتاة عادية . . لقد قلت لي هذا .

ويبعدها عنه قليلاً وأخذ يتفرس في وجهها وابتسم بحنان .

ـ لك وجه جميل . . ولا حاجة لأن تكوني رائعة الجمال .

www.elromancia.com

وفكرت بما قاله ، وقررت أن هذا الجواب يكفيها . وتمتم قائلاً :

ـ هذه هي فتاتي . . . هل نتزوج غداً ؟

والتقطت أنفاسها من الصدمة «غداً ؟ ولكنني لا أستطيع . . . الوظيفة . . . وأنا وجدتي لا نملك ثياباً لائقة ، إضافة إلى أنك بحاجة الى ترخيص .

ـ لقد حصلت على ترخيص . . وهذا سبب تأخري في لندن . والوظيفة ستستغني عنها ، وما علينا سوى الإتصال بهم هاتفياً ، وبالنسبة لجدتك فهي وجدك فهما ينتظرانا في غرفة الجلوس لنقول لهما متى سنتزوج .

ـ وكيف عرفا ؟

ـ لقد قلت لهما سبب زيارتي عندما وصلت . ولم ألاحظ أن جدتك دهشت .

وابتسمت له ثم عانقته وقالت له بإعجاب :

ـ أنت تفكر بكل شيء . . ولكنني لا زلت دون ثياب .

ـ سنذهب إلى أقرب بلدة بعد الظهر . . ولا بد أن نجد شيئاً يناسبك يا حبيبتي . . .

الرجال ! . . وهل يعتقد أن النساء يشترين أول ثوب يرونه على مقاسهن ؟ وثوب الزفاف خاصة ؟

وقالت له «حاضر يا عزيزي جيلس»

وأخذت تفكر بالمربى ، لا بد انه قد نضج ويجب رفعه عن النار ، فرائحته عبقت في المطبخ ، ولكنها نسيت كل شيء وقد أخذها بين ذراعيه ليعانقها . . .

www.elromancia.com